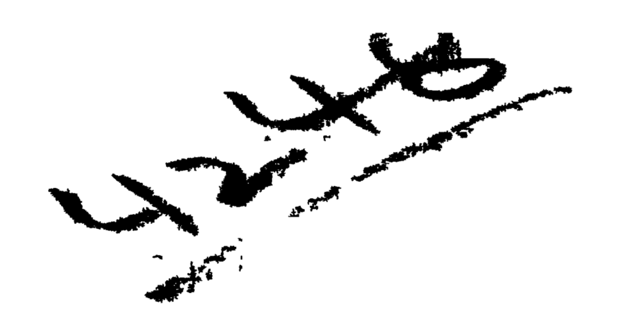
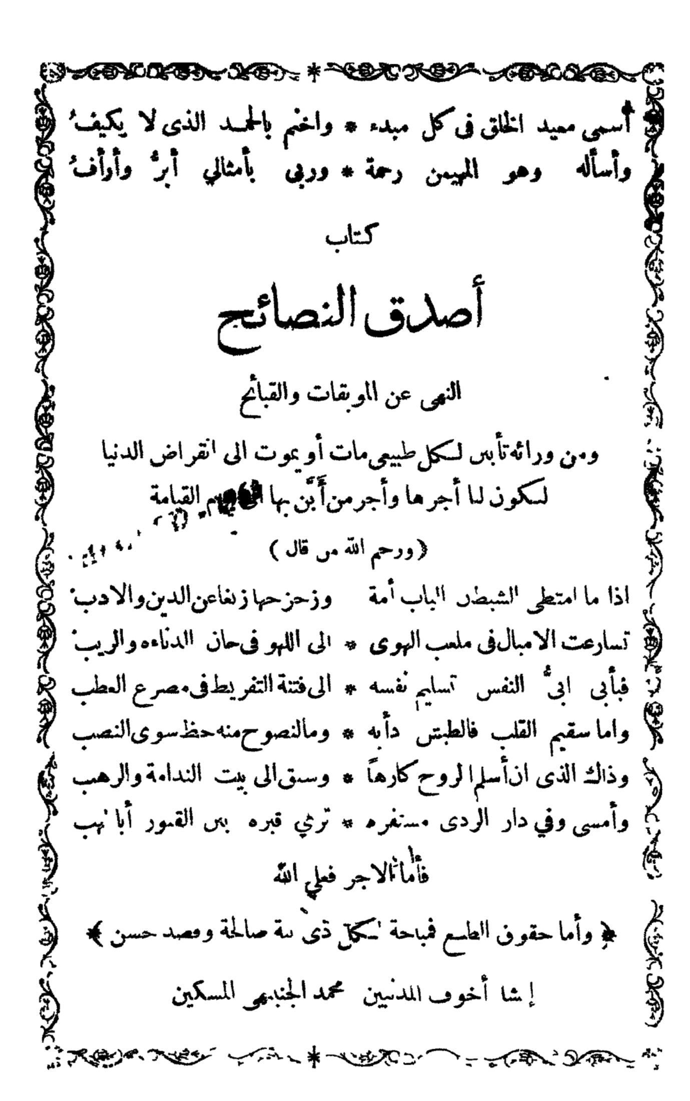




أسمى معيد الخلق فى كل مبدء * واختم بالحمد الذى لا يكيف
وأسأله وهو المهيمن رحمة * وربي بأمثالي أبرّ وأرأف

كتاب

أصدق النصائح

النهى عن الموبقات والقبائح

ومن ورائه تأبى لكل طبيعي مات أو يموت الى انقراض الدنيا
لكون لنا أجرها وأجر من أبّن بها الى يوم القيامة

(ورحم الله من قال)

اذا ما امتطى الشيطان الباب أمة * وزحزحها زيغا عن الدين والادب
تسارعت الاميال فى ملعب الهوى * الى اللهو فى حان الدناءة والريب
فيأبى ابىّ النفس تسليم نفسه * الى فتنة التفريط فى مصرع العطب
واما سقيم القلب فالطيش دأبه * وما النصوح منه حظ سوى النصب
وذاك الذى ان أسلم الروح كارهاً * وسيق الى بيت الندامة والرهب
وأمسى وفي دار الردى مستغرماً * ترى قبره بين القبور أبا لهب

فأما الاجر فعلى الله

* وأما حقوق الطبع فمباحة لكل ذى نية صالحة وقصد حسن *

إنشاء أخوف المذنبين محمد الجنبيهى المسكين

بسم الله الرحمن الرحيم

مثال

حيتك عزة بعد الهجر وانصرفت   فحي ويحك من حياك يا جمل

ليت التحية كانت لى فاشكرها   مكان يا جمل حييت يا رجل

عزة معشوقة كثير رحمها الله بجمله وهو لاه في مراعيه فسلمت عليه فما أدي واجباً فلما علم بذلك محبها بكى طويلاً وعاتب الجمل بما تقدم وانها البراعة استهلال استدعاها المقام لما فيها من المناسبة بين حال الجمل وحال من أحببنا ان نلقى النصائح اليهم وما ذكرنا عزة دون غيرها ممن ماثلها من المعشوقات الا لان حالها مع معشوقها وحاله معها ما كان كحال من اشتهر حالهم من العشاق فن ميل عزة لكثير ما كان الاميل دلال واختبار وميل كثير لها ما كان الا لغرض شهواني كما يعلم من قوله

قضى كل ذى دين فوفى غريمه   وعزة ممطول معنى غريمها

وما كان ذلك الدين الا قبلة وعدته اياها وكم من فارق بين من هذا حاله ومقاله وبين حال القائل وهو صاحب بثينة

وانى لأرضى من بثينة بالذى   لو ابصره الواشي لقرت بلابله

وبالنظرة العجلى وبالحول تنقضى   اواخره لا نلتقي وأوائله

وكذلك حال الذى كان عليه جميل مع بثينة من شدة الشوق والوله ما كان كحب عزة وصاحبها بدليل قول جميل

خليلي فيما عشتما هل رأيتما   قتيلاً بكى من حب قاتله قبلي

ارى كل معشوقين غيري وغيرها   يلذان في الدنيا ويغتبطان

وامشي وتمشي في البلاد كاننا   اسيران للاعداء مرتهنان

[illegible]

ذلك ليعلم العقلاء من الناس أن الاميال تتفاوت وتختلف باختلاف المناسبات الاستمدادية فكم في زمن عزة وبثينة وليلى الأخيلية ومن نحا كنحوهن من ربات الجمال والدلال من رجال ومن شبان منمن كان العشق من شؤونهم وما لت قلوبهم الى واحدة منهن كميل صاحبها اليها ولقد أجاد مجنون ليلى اذ يقول

جُنِنَّا بليلى وهى جنت بغيرنا وأخري بنا مجنونة لانريدها

وماذلك الالان حال الاميال القلبية تختلف باختلاف القوابل والاستمدادات ليس في شؤون العشق فقط بل فى كل شئ يكون من شؤون القلوب رده أو قبوله كما هو حالها فى قبول النصائح وعدم قبولها وفى تدبر العبر والمواعظ والاعراض عنها ومانريد بعزة فى هذا المقام الا كل موعظة تأتى الغافل المشغول علاهيه فيعرض عنها اعراض الملول غافلا عن قول رسول الله صلى الله عليه وسلم أيما عبد جاءته موعظة فى دينه فانما هى نعمة من الله سيقت اليه فان قبلها بشكر والا كانت حجة لله تعالي عليه ليزداد بها إثماً ويزداد الله عليه بها سخطاً

ومانريد بالجمل الا ذلك العبد الذى بعدت به قابليته واستمداده عن قبول النصائح وتلقي العبر والمواعظ حتى أصبح من الذين كانوا مرجع الضمير من قوله تعالى (وكم من آية فى السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون) وهل تكون الموعظة أو العبرة للعبد الا رحمة من الله ونعمة وتذكاراً تقوم مقام التحية التى ألقتها عزة لجمل محبوبها وما مرادها الجمل وانما أرادت ذلك المحب الذى يتمنى تحيتها وهكذا هو الحال بين الله وبين عباده فان من المواعظ والعبر ما يكون مصحوباً بعناية اسعاف وتلطف فتصادف استمداداً حسناً وقابلية مطهرة فيتلقاها من سيقت اليه بقبول واقبال ويكون حاله معها كحال القائل

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلبى خالياً فتمكنا

ولربما جاءت الموعظة لانسان وكانت فائدتها لسواه لانه هو المقصود بالذات لامن ألقيت اليه

ومنها مايمر مرور الطيف على القلب الغافل فلا تؤثر فيه لانهاما كانت الا حجة على ذلك الغافل اللاهي المشغول بشهواته عن منافع حياته ومماته وذلك الذي يكون حاله مع المواعظ كحال القائل لزائرته

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا وقت الزيارة فارجعي بسلام

وان من شؤون الرحيم الودود ان يتعرف لعباده بالنعم ويواليهم بالمواعظ والعبر حتى اذا تمادوا فى الاعراض عتواً واستكباراً بدل النعم نقما وجعل العبرة فتنة وأوقعهم فى مهواة الاستدراج من حيث لايشعرون فيظن المحروم منهم انه المرحوم ويتوهم المطرود انه هو الذى استولى على مكانة القرب ويري السفيه نفسه حليماً واللئيم لا يرى فوقه من الناس كريماً وذلك لأنهم نسوا الله فأنساهم أنفسهم وفتح عليهم أبواب الشواغل والملاهى فأصبحوا خاسرين

ولما كانت أمتنا الآن فى تلقى العبر والمواعظ أشبه حالا بذلك الجمل وكان السكران فى ضمان الصاحي أصبح من الواجب على كل مؤمن أبصر طريق الهدى ان ينادي الذين شملتهم مطاعن اللورد كرومر التى منها قوله ان الشرقى لايهتدى الى البحث والتدقيق سبيلا وما كان ذلك القائل على حال مع ربه يؤهله لان يكون حكيما لا ينطق عن الهوي ولا عالماً متنبئاً ولا أخا فراسة إيمانية لايسابقها الخطاء ولكنه كان ذا صوت مسموع جعله الله سبحانه وتعالى قائماً مقام صواعق الانتقام المفزعة وقد أجرى جل شأنه على لسانه ذلك التقريع تبصرة وذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ولكن الكثيرين من مرشدى هذا الزمن الذى لا يهمهم الرجوع الي الحق وان كان جليا ولا يخجلهم الجدل بالباطل ولا يسأمون المكابرة قد قاموا فى وجه ذلك القائل

واقفهين موقف المدافع الذي هو أشبه شيء بالجمل الذى لا عمل له اذا حمل ثقلا من أثقال الاعمال الا أن يرغوا من حيث لا يدرى ان استمداده ما كان إلا لذلك العمل ومن حيث لايدرى ان الجزع فى مواطن الصبر عار وشنار ولو أنهم فقهوا القول وعلموا بواعثه القلبية التي لا يعقلها الا العالمون لعدُّوه نعمة وموعظة حسنة ولأقبل بعضهم على بعض يتلاومون ولأقلعوا عما كانوا عليه من البله الذى ما زال يخترم عقولهم حتى تصوروا القبيح حسنًا والحسن قبيحًا كما سيأتى بيانه

ولكنهم أخطأوا طريق الصواب وكانوا بهمًا لا يفقهون عن الله خطابا وما علموا أنه هو الناطق على كل لسان وأنه وراء نطق كل ناطق وأنه ملهم الخير والشر ليجري شؤونه فى خلقه وربما أهلك ماهرًا بعثرة لسانه وأسعد ألكنًا بكلمة ما كان يقصد معناها وربما أجرى الموعظة لعبده على لسان عدوه اذا كان ذلك العبد ناقص الحال ثم حال بينه وبين النصحاء من ذوى الكمالات الأدبية حائل طيش أو فسوق أو غرور أو شيء من المساوى التى تمنع المتلوثين بها من مخالطة الطاهرين الذين تأبى غيرة الحق سبحانه وتعالى عليهم مجالسة السفهاء الذين اذا قيل لهم اتقوا الله أخذتهم العزة بالاثم

فيا أيها المصرى المعذب بجنايته من حيث لا يشعر والمأخوذ بجنايته الى مصارع التهلكة وقد ظن أنها منازل تكريم

تعال حتى أعالج شعورك واحساساتك الذوقية بشيء من المنبهات الروحية وأداويك بعقاقير الطب الموصوف لامثالك من المرضى [illegible] سكرات ذلك الموت الأبدى وغمراته فتسمع [illegible] من [illegible] التى تولدت من مكروب عبثك وغرورك وموعات [illegible] الأخلاط التى تهذب بها [illegible] عند [illegible] أقوال [illegible]

تدارك روحك بالتحامي من ذلك الغذاء المسموم قبل أن يصل دبيبه الى مقاتلك القلبية فتغدُوا وقد كتبت فى دفاتر الذين ماتوا وهم أحياء فتهلك مع الهالكين الذين حبطت أعمالهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً

ولا تتوهم أيها الجار الجليل الذى له علينا حق الجوار أوالصاحب الفضيل الذى نناديه عنداشتداد الكروب أوالاستاذ الذى يجب علينا احترامه اكراماً لصفة العلم التى هى أشرف الصفات أو الحاكم الذي نحن مأمورون بأن نلقى اليه القياد إن نهى أو أمر أو ما فوق ذلك من الامراء الذين نحن غرس نعمة أبائهم أو ما دون هؤلاء وهؤلاء من اخواننا الذين أوجب الشارع علينا مجاملة العقلاء من فضلائهم وأمرنا بمدارات سفهائهم

أنى فيما جئت به من البيان فى هذا المدون ناظر الي أحد بعين احتقار أو ازدراء كما هو شأن كل مغرور معجب بنفسه لايرى للفضلاء فضلا ولا للادباء مكانة مجد وتعظيم (كلاّ) ولكنني لما كنت منعمًا بنعمة الفراغ التى لاتعادلها نعمة وجعلني الله سبحانه وتعالى علي جانب من الخمول والعزلة متجنباً ميادين التسابق والتنافس الشهوانى الذى هو أشبه شيء بالمعركة التى تعالى منها الغبار وتباعدت عن المغلوب فيها الانصار وقد ارتفعت الى كبد السماء غوغاؤها وملأ الآفاق صدى اصواتها وماطرق مسمعى منها الاصياح صبيان وما هم بصبيان ولكنهم شيوخ يتصابون وشبان يتمشيخون وقد زعموا أنهم أئمة الرشاد والارشاد وانهم هم القائمون باصلاح شؤون العباد كل ذلك ولسان حالهم ينادى بأرفع صوت تسمعه أفئدة العقلاء سماعاً معنوياً مترنماً بقول القائل

ويبكى على الموتى ويترك نفسه	ويزعم ان قد قلّ عنهم عزاؤه
ولو كان ذا عقل ورأى وفطنة	لكان عليه لا عليهم بكاؤه
فان الذى يبكيه قدتمّ أمره	وما الحي الا للبلايا بقاؤه

فانتبذت عن القوم من العزلة مكانا قصيا واتخذت لنفسى الجزوعة من الانتظار والاصطبار متكئاً لعلى أرى لتلك الدواعى الباطلة من النتائج مايثبت صدق المتصالحين أو اسمع صياحاً ساراً مبشراً بحال حسن حتى مضى الطويل من الزمن وقد قارب القرن ان ينقضى وأرباب البصائر من أهل الايمان تتقلب قلوبهم على جمرات الحسرات وحرارة الاسف ولم يكن الافساد عام وافساد تام لم يترك من اخلاق القوم الذين لم يتباعدوا عن تلك المعركة وغوغائها خلقاً حسناً الا بدله بخلق قبيح مذموم ولا عملا صالحا الا وجعل مكانه عدة أعمال سيئة ولا قلبا سليما الا وملأه أمراضا قتالة مصدرها شبه زيغيه وفلسفة طبيعية وشهوات شيطانية وأغراض هوائية قد حذرنا منها العليم الخبير ورسوله الصادق الامين

فلما أقلقنى هذا الانقلاب الهائل السريع الذي كان فى عمله أشبه شئ بمرحاض انفجر فى مكان ضيق على رؤوس قوم مقعدين فما ترك منهم من أحد الا ولوث ثوبه وملأ منه حاسة الشم والبصر وما أبصرت من طريق يسلكها السالك لتوصيل النصائح الي آذان أولئك المتصالحين ليغضضوا من أصواتهم وما استطعت الوصول الى حال يحول بين أولئك المحولقين حول مصادر الضلال والاضلال لا من طريق المحاورة ولا من طريق الحكمة والموعظة الحسنة فلذلك قمت فيما بينهم صائحا أدافع عن الدين وآدابه الكمالية وعن محاسن الاخلاق والكمالات البشرية التى تميز بها الانسان عن سائر الحيوانات مدافعة من لا مدد له ولا عدد ولسان حالى يتمثل بقول القائل

ان زمّر الجمل المشقوق شاربه   فما على الفيل ان غنّاه أو رقصا

وان عدت لنوال السبق زحلفة   فما على قنفد ان صال أو رفصا

ذلك بأنى والقوم الذين أقاومهم فيما يقولون وأنازعهم فيما يدعون أجهل بطريق الارشاد الصحيح من كل جاهل وما مثلنا فى معرفة الدين وآدابه الا

كمثل المسيحي الذى لا يعرف من حال المسيح عليه السلام الا أنه الإله المصلوب وهل علمنا الدين الا من طريق السماع التى علمته منها معنا النسوة والشبان المتفرنجون وهل سمعنا من آداب الدين وواجباته الا أسماء ما عرفنا مسمياتها ولا أدركنا حقائقها كما بينت ذلك فى كتاب ارشاد الامم الى ينبوع الحكم وانه لمن المعلومات الضرورية ان مجرد العلم بمزايا الآداب الكمالية ومنافعها العمومية أو الخصوصية لا تفيد العالم بها فائدة في تطهير قلبه ولا فى تحسين أخلاقه اذا لم يكن علمه بها مؤسساً على قواعد متينة من العمل الصحيح والتجربة المفيدة والا كان حاله مع الدين كحال سابح البحر الذى ما تناول من مائه شيئا بل فارقه وهو ظمآن وهل يكون حال المرشد الذي يقول بلسانه من القول ما ليس متحققا به فى حاله ولا فى عمله الا كواصف دار ما رأى منها غير جدرانها

وهل أرسل الله سبحانه وتعالي الرسل الذين ثبتت رسالاتهم بالآيات البينات الا ليبين للانسان طريق الاعتدال التى ينبغى له أن يسلكها ليتخلص من أوحال حياته الدنيا التي ما كانت الا مثالا للحياة الثانية كما يمثل للنائم حاله الذى سيؤاتيه غداً أو بعد غد أو بعد أعوام عديدة حتى اذا استيقظ تذكر ذلك المثال وانتظر تأويله وذلك ما يشير اليه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم "الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا" وما كان ارسال الرسل الا ارشاداً من الله تعالى لتكون رؤيا الذين يرشدون به صالحة ويكون تأويلها بعد الموت حسناً اذا صح نومهم بالمعنى المشار اليها بما ورد فى قول الحق سبحانه وتعالى لسيدى عبد القادر الجيلانى ياغوث نم فى حجرى لا كنوم العوام وما من طريق توصل الى غاية محمودة فى الدنيا والآخرة الا طريق الارشاد الذى سماه الله الصرط المستقيم ولا رشاد الا عند أهل تلك الطريق ولا رشاد الا اليها وكل رشاد أو ارشاد لا يوصل اليها فما هو الا ضلال وتضليل وكل مرشد لا يحيط بها علما ولا يكون له فى مفاوزها قدم فما هو

إلاغوي ومضل مبين وهل يكون حاله الا كحال الجهول الذى ادعى المهارة فى الطب وفى تأويل الاحلام وأعانه على التمادى فى هذه الدعوى الكاذبة احترام جهلة العوام أحواله وأقواله وأعماله لجهلهم بمزايا الاطباء وأهل التأويل وما زال مابابين أولئك الجهلاء حتى مرض باش أغا سراى الملك فى ذلك الزمن وكان قد رآى مناما أهاله فاستدعى ذلك الطبيب الماهر وقص عليه رؤياه بعد ما شكى اليه مرضا فى أمعاه فقال له أما المرض فأحسن علاج له أن تطمخ رأسك بالحنا وأما رؤياك فصالحة وتأويلها أن يرزقك الله ولداً صالحا فأيقن الرائى جهل الرجل فأمر بضربه وطرده لأنه جهول لاتؤمن شروره وهكذا يكون كل مرشد لاخبرة له بالدين لانه لا يرشد الى خير وهل يكون المرشد فى الناس الا بمنزلة الطبيب وهل يحسن الطب الا من مهرة الاطباء المجربين الذين حازوا فضيلة العلم والعمل

وهل لقائل يدعي صدق المقال أن يقول ان من باعة الكلام أو من دعاة المدنية الاوروباوية من هو متحقق بحقائق الآداب الدينية أو سليما من الموبقات القلبية التي أهلكت الناس من حيث لم يشعروا أو مشتغلا بحال من أحوال العبوديه أو متحامياً من النقائص التي تحول بين العبد وربه كلا والله ان من كانت هذه دعواه لمن الكاذبين

فهل على مؤمن من سبيل وقد رآى أبناء ملته وأهل وطنه ونبهاء أمته ضالين عن سواء السبيل اذا قام فيهم داعيا ومناديا من كان أكبر منه سنا بما نادى به الخليل أباه فيما حكاه الله عنه بقوله (ياأبت أني قد جاءنى من العلم مالم يأتك فاتبعنى أهدك صراطاً سوياً ياأبت لا تعبد الشيطان ان الشيطان كان للرحمن عصيا ياأبت انى أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان

وليا) ثم ينادى من كان أصغر منه سنا بما قاله لقمان لابنه فيما حكاه الله عنه بقوله (يابنى لا تشرك بالله شيئا ان الشرك لظلم عظيم) وقوله (يابنى انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة أو فى السموات أو فى الارض يأت بها الله ان الله لطيف خبير يابنى أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك ان ذلك من عزم الأمور ولا تصعر خدك للناس ولا تمش فى الارض مرحاً ان الله لا يحب كل مختال فخور واقصد فى مشيك واغضض من صوتك ان أنكر الاصوات لصوت الحمير)

ذلك ليعلم العقلاء من الناس ان الارشاد الصحيح ماهو الا إيقاف المسترشد فى مواقف العبودية عند حده حتي يعرف نفسه فيعرف ربه ومن عرف ربه استراح من أوحال دنياه وآخرته وهل عرف الله الا من تابع رسله

وهل علي مؤمن من سبيل اذا أبصر اخوانه وقد قاربوا أبواب جهنم وتباعدوا عن طريق الجنة وراء أقوام يدعون أنهم أبناء الله وأحباؤه وأعوان الدين ونصراؤه وما عرفوا الله ولا تأدبوا بآداب دينه فقام فيما بينهم مذكراً بما ورد به القرآن الحكيم من توبيخ الله سبحانه وتعالي وتقريعه لعباده العصاة يوم القيامة بقوله (وامتازوا اليوم أيها المجرمون ألم أعهد اليكم يابنى آدم أن لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين وأن اعبدونى هذا صراط مستقيم ولقد أضل منكم جبلا كثيراً فلم تكونوا تعقلون هذه جهنم التى كنتم توعدون اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون)

ذلك ليعلم العقلاء من الناس أنه نداء عام لكل مجرم والمجرم هو الذى تلبس بما نهى الله عنه من كل قول أو حال أو عمل لا فرق فى ذلك بين عالم وجهول ومرشد ومسترشد وآمر ومأمور وغنى وفقير وهل يعرف المجرم نفسه الا اذا عرض حاله وعمله ومقاله على أوامر الله ونواهيه ووزن شؤونه بموازين

الآداب الدينية والتكاليف الشرعية وإنها الموازين لا تخرج من أهل هذا الزمن من دائرة المجرمين الا من رحم الله

وهل على مؤمن من سبيل اذا قام صارخا فى وجوه المضلين الذين يدعون الارشاد مذكراً لهم بمقال عيسى عليه السلام لعلماء بني اسرائيل اذ قال لهم ياعلماء السوء مالكم قعدتم على طريق الجنة فلا أنتم تسلكونها ولا تركتم الناس يجوزونكم اليها

وهل علي مؤمن من سبيل ان دعته الغيرة الى الغلظة فى القول والشدة فى الارشاد لعلمه أن النائم فى ذمة اليقظان وأن الروابط الاجتماعية تحتم علي كل من رأى قرينه مغلوبا لهواه وشيطانه أو مأخوذاً علي غرة من مضل خائن أو مموه محتال أو وجده هائما فى تية الغرور والاعجاب أو متورطا أوحال الشبه الزيغية أو نائما فى مهاد الملاهى والغفلات أن يناديه بصوت مزعج ليزجره عن غيه حتى اذا توهمه أصما أدركه عدوا وأخذ بخنقه الى سبيل السلامة ومهابط الرضوان ومناهج الاستقامة والا كان خائنا وكان عدوا فى ثياب صديق

فياأيها المتمدين الذى نحر دينه نحراً فى سبيل الفلسفة الطبيعية وقد كان له أكرم مطية توصله الى منازل التكريم ويا أيها المؤمن الذى يدعي الايمان وما سلك سبيل المؤمنين ويا أيها المسلم الذى ماسلمت الناس من يده ولسانه وما تخلق بأخلاق المسلمين لا تغضب اذا ما شبهك الناس بالجمل فان حالك فى تلاهيك عن تجنب المضار وتفقد المنافع وفى اعراضك عن العبر والمواعظ وانقيادك لكل قول مزخرف كحال الجمل وما كان الجمل من الحيوانات التي لا قيمة لها فى نظر الجهلاء الذين لا يبصرون سر سريان القيومية فى كل مخلوق بل هو من المخلوقات التى تمدح بخلقها الحق سبحانه وتعالى ثم أقامها برهانا على عظم اقتداره وثبوت ألوهيته فى قوله (أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت والى الجبال كيف نصبت

والى السماء كيف رفعت والى الأرض كيف سطحت) ولكنه جل شأنه كما جعل الارض ذلولا جعل الجمل ابلها ليتحمل الاثقال وينقاد الى النساء والاطفال فما وجد ناله من شبيه فى المخلوقات البشرية الا المفتون الذى أطاع دعاة المدنية الأوروباوية من زعماء الفلسفة الطبيعية الذين كان مبلغهم من العلم متابعة الظنون والاعجاب بالرأى وزخرفة المقال فلما فتنوا ذلك الجهول أطاعهم وعصى رسل ربه الذين لا ينطقون عن الهوى وما جاؤا الا لتهذيب اخلاقه وتعليمه كيف يعامل الخالق والمخلوقين فطرح أوامرهم وراء ظهره بلا بحث ولا تدقيق حيث لا فائدة له فى ذلك الا أن يقال هذا متمدين ثم هو يعرض عن المواعظ والعبر التى هى فى كل حين تعرض عليه من ربه ما بين مسموع ومنظور لاهيا بما متعه الله به من الشهوات كما تلهى جمل صاحب عزة بمراعيه عن تحيتها وكلما نودي من قبل الله سبحانه وتعالى أن هلم الى ياعبدى لأصافيك مصافاة الأخلاء وأدخلك فى رياض رضوانى وأهيؤلك منزلا مع الأبرار فى دار الكرامة تولى معرضا وصار أصما يأكل كما تأكل الانعام ويعبث كما تعبث الهوام وما ذلك الا لأنه أصبح كالصبيان الذين أعجبهم عمل المشعوذ أو اختطفت ألبابهم الدفوف والمزامير فهم لا يسمعون ولا يبصرون سواها وما عمل المشعوذين مع الصبيان بأضر من عمل المرشدين بالجهلاء ان كانوا ضالين عن سواء السبيل

فهلم الينا يا أيها الهائم لنرشدك الطريق الاقوم والسبيل الاسلم فما أنا إلا أخوك في الملة والوطنية وإنى لك لنا صح أمين فهلم مقبلا قبل أن يقتنصك الموت وأنت على حال سيء فما جئنا الا لايقاظ النبهاء مع علمنا بأن قوابل القوم لا تقوى على متابعة المرشدين ولا تساعدهم على سلوك سبيل المهتدين لانهم كالجمال وقد ضرب الأقدمون بالجمل مثلا لمن كلف بعمل لا قدرة له على القيام بأدائه ولا استعداد عنده لقبوله بقولهم

قالوا للجمل زمر قال لاشفة متلاصقه ولا أصابع متفرقه

ولكنا لا نيأس من وجود جيل من الأجيال المقبلة يكون من أبنائه من هم من السعداء الميالين الى النصائح التواقين الى المواعظ العاملين على تخليص انفسهم من أوحال التمويهات التضليلية بدقة البحث عن الحقائق ودوام التدقيق فى فهم أقوال المتمشدقين اذ لا يعدم الدين بفضل الله نصيرا الى أن تقوم الساعه فلذلك نأتى ببيان أسباب الفساد فنقول

ان لفساد الاخلاق وزيغ القلوب وضياع الآداب الكمالية فى هذا الزمن سببان هما أقوى الاسباب الجالبة لمقت الله وغضبه فاما أحدهما فوجود رجال أولى لسانة وذوي زندقة رافعين أصواتهم بدعوة الناس الى مدنية أوروباوية فضلوها عن المدنية الاسلامية ذلك بأنهم طبيعيون لادين لهم ولكنهم يدعون أنهم نصراء الدين وأعوانه لعلمهم أنهم اذا صادموا الدين صرعهم وعسره عليهم المسلمون وأما السبب الثانى فعدم وجود رجال من العلماء أولى قابلية واستعداد لمقاومة أولئك المبطلين اذ العالم الذى لا دين له ماهو الا أضعف من الجاهل فى مقاومة الباطل فلذلك جئنا نبين الفارق بين المدنية الأوروباوية والمدنية الاسلامية حتى اذا تبين للعقلاء أيهما أقرب الى الكمالات الادبية كان لهم الخيار فى معانقة احدى المدنيتين والمسارعة الي احدى الدارين فنقول

حرمت المدنية الاسلامية كل عمل وكل حال وكل مقال يربى الضغائن أو يوقظ الفتنة أو ينفر النفوس أو يوجب التباغض والتحاسد أو يجدد [illegible] الخلطاء لانها أى المدنية الاسلامية ماجاءت الا لتطهير الهيئة الاجتماعية من كل عيب مشين ومن كل امر يحدث مرضا فى مفاصل العمران باعتبار أن كل [illegible] تحت إمرة أمير واحد ماهى الا كالجسد الواحد الذى [illegible] [illegible] أعضائه ومن طوى أخرى [illegible]

قول أو حال أو عمل لا يليق بأهل المدنية الاسلامية التلبس به ولا ينطبق على الغاية المقصودة لها فانها لا تقصد الا اصلاح شؤون الملل وتحسين أخلاقهم ليكونوا صالحين لسكنى دار لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما وقد وصف الله سبحانه وتعالى أهلها بقوله (ونزعنا ما فى صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين) وهل كان نزع الغل بعد الموت لا والله فان الانسان يموت على ما عاش عليه ويبعث على ما مات عليه ولكن نزع الغل من الصدور هو فى حياتهم الدنيا بما تعلموه وتحققوا به من آداب المدنية الاسلامية ولكن المدنية الاوروباوية لم تراع شيأ من ذلك ولذلك أباحت كثيرا مما حرمته مدنية المسلمين فلنذكر من ذلك ما يكون أنموذجا لكل متفكر من أهل البحث والتدقيق يريد أن يعرف الفارق بين المدنيتين فنقول

تحريم الزنا

لقد حرمت المدنية الاسلامية الزنا تحريما باتًّا حتى وان كان عن تراض وقررت للزانية وللزانى عقابا صارما وعذابا شديدا وأمرت أن يشهد عذابهما طائفة من المؤمنين ليكون ذلك العقاب الصارم الواقع على هذين الخائنين وان أعدمهما الحياة فى مراعاة مصالح الأمم وطهارة اخلاق أبنائها بمنزلة قطع العضو المؤوف الذى لو ترك فى الجسم السليم لسرى ضرره فى كثير من الاعضاء التى يحتاج الجسم الى استعمالها فى مصالحه العمومية وهى أيضا فى ذلك العقاب تراعى أمر المساوات بين أفراد الأمم فى حفظ الحرمات لكيلا تكون أعراض الضعفاء عرضة لفساق الأقوياء وحتى لا يستبيح فرد من افراد الأمم عرض أخيه باعتبار أنهما عضوين من جسد واحد ولكن المدنية الأوروباوية تبيح ذلك العمل المشين ان كان عن تراض وما راعت أن زانية واحدة لو تركت بلا عقاب لكانت سببا فى فساد اخلاق كثير من المصونات مادامت آمنة من العقاب متكئة على رائك الحرية جالسة على بساط الاباحة المدنية التى زعم المرشدون الذين هم

دعاتها أنها منتهى معارج الرقى الأدبى الذي امتازت به أوربا عن جميع الاقطار فهل من الرقى الأدبى تهتك النساء فى الأسواق وهل لمسلم حرم الله عليه النظر الى غير ذى محرم أن يظن ان ذلك من الآداب الكمالية وهل من الاعتدال المطلوب من كل ذى أدب كمالي أن يطلق صراح امرأة زانيـة ربما كانت من أكرم البيوت حسبا ونسبا تسرح وتمرح علي مرآي من ولاة أمرها وما تجرأت علي الاقدام على هـذا العمل المعيب الا بهدى أولئك المرشـدين الذين أطنبوا كل الاطناب فى امتداح تلك المدنية والطعن على المدنية الاسلامية بما به قد قرروا ان التمسك بها تنطع وجمود فما أشد ماغشى أنظار أولئك المرشدين وماأضر نصائحهم المهلكة وما أسوأ ما ادخروه لبناتهم وبنات أبنائهم من حيث لم يعلموا أن لزمن لهشؤون مدهشة وتقلبات مزعجة وان من شؤونه ان لا يترك بنيانا عاليا الا هدمه ولا مجدا رفيعا الا وضعه ولا ذات عز الا أذلها ولا متكلما الا أخرسه ولا باغيا الا بغى عليـه وصيره مذموما مدحورا وما الله بغافل عما يعمل الظالمون الذين أفسدوا الاخلاق وأسخطوا الخلاق ولكن يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار

وما كان لرجال الامـة وهم أوسـع رجال الامم فكرا وأوفرهم عقلا وأبعدهم الى العوقب نظرا وأهداهم الى الرشد سبيلا وأفضلهم أدبا وأقومهم دينا وأكرمهم آباء وجدودا وأرفعهم فى الاقدمـين مجـدا ان يحترموا مرشدا أضلهم عن سواء السبيل واستخفهم كما استخف فرعون قومه فاطاعوه وما كان لهم ان يتبعوا مرشدا لا يدرى عاقبة ما يقول وهو اذا قال لا يحسن العمل ولا أن يجعلوا له ولا لاقواله مقرا فى قلوبهم ولا ان يتركوا أبناءهم هائمين فى تيه الملاهى الزيغية وراء تمويهات المضلين وقد ملأت مدونات الارشـاد الصحيح خزائن المعاهد الدينية ان هذا والله لهو الخسران المبين

ولو اننا ناديناهم يا أمة خير الانام ومصباح الظلام ورسول الله الملك العلام لا تستبدلوا خبيث النقائص بطيب الكمالات ولا تتهاونوا بعضار الارشادات الزيغيه التي أوجدت في أخلاقكم وأخلاق أبنائكم ما لم يكن معهودا مع علمكم بان قليلا من النقائص يذهب بمزايا كثير من الكمالات بمعنى ان الرجل لو كان كله كمالا وارتكب نقيصة واحدة لاسقطته من عيون الذين كانوا يعرفونه كاملا فكيف بمن كان لا يهتدي الا الى النقائص

ولو كلفناهم أن يذروا وصايا الله سبحانه وتعالى ونصائح رسله وقلنا لهم [illegible] الاوروباويه [illegible] هذه الفاحشة ان كانت عن تراض لترتكبوها (كلا) ولكنه [illegible] بوجوب تجنب العمل القبيح كما [illegible] لا [illegible] بان يتلبس بحال [illegible] وما أمرت انسانا ان يخالف وصايا ربه [illegible] من الاحوال وما أنتم من الاوروباويين حتى يكون لكم الحق في متابعتهم [illegible] أهل دين قويم وذووا صراط مستقيم من انحرف عنه هلك وهو لا يشعر ولا تطيعوا دعاة [illegible] في أي أمر يميل بكم عن طريق الاعتدال فتكونوا من الظالمين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة وما يوم القيامة منكم ببعيد فان الموت قريب ومن مات فقد قامت قيامته بمعنى انه يكاشف بكل ما أعده الله من [illegible] أو عذاب لقابلتنا قرائن الاحوال والظروف الحاضرة بقول الاقدمين

(فهو للجمل زمر [illegible] لا شفة متلاصقة ولا أصابع متفرقة)

[illegible] لانهم [illegible] لا [illegible] ولا لانهم في واد لا دين فيه ولا علماء كلا [illegible] أقوال مزخرفة كانت كأخلاط الاطعمة الرديئة التي [illegible] الامزجه [illegible] الى مصارع فلسفة طبيعية لا نتيجة لها الا الغرور [illegible] في أن الاعجاب ضد الصواب والغرور مفتاح الشرور [illegible] على تلقي النصائح اللهم ارحمنا اذا عرق منا الجبين وكثر

وكثر منا الأنين وأيس منا الطبيب وبكى علينا الحبيب اللهم ارحمنا اذا وارانا التراب وودعونا الاحباب وفارقنا النعيم وانقطع عنا النسيم اللهم ارحمنا اذا نسى اسمنا واندرس ذكرنا فلم يذكرنا ذاكر ولم يزرنا زائر اللهم ارحمنا يوم تبلى السرائر وتفنى الضمائر وتنشر الدواوين وتنصب الموازين برحمتك يا أرحم الراحمين يا الله يا الله يا الله

جاءت المدنية الاسلامية تحرم الربا بجميع أنواعه تحريما بتاً لا يقبل التحوير ولا تقاومه شبهة التأويل لانه أضر المعاملات على كلا المتعاملين حالا ومآلا اذ يجلب لاحدهما الفقر العاجل ويورث الآخر النغم الآجل الذى مبدؤه سكرات الموت وكل آت قريب وإنه لأدعى الدواعى الى نكد المعيشة وخراب الديار المعمورة ولقد راعت فيه المدنية الاسلامية مضاراً كثيرة فى الشؤون والاخلاق ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون

فاما مضار الاخلاق فانه يقوى منابت الحرص والطمع فى قلوب ذوى الاموال ويُشربها شحا مطاعاً وهوى متبعاً فتلابس بمفهوم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كان لابن آدم واد من ذهب لابتغى له ثانياً ولو كان له واديان لابتغى لهما ثالثاً ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب ويتوب الله على من تاب

وان محبة المرابات لتذهب بكثير من مكارم الاخلاق التى منها الكرم والسخاء والايثار واغاثة الملهوف ثم تضيع ثمرة القرض الذى عرّف فضله جبريل عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله ان الحسنة بعشرة أمثالها والقرض بثمانية عشر وانها لتعوق من تمكنت من قلبه عن العروج الى معالم المجد حيث يعرج العقلاء وتلهيهم عن اقتناء ما يقتنيه الفضلاء فان أفضل مايقتنيه الرجال هى المحامد الطيبة والسيرة الحسنة وأفضل ما يدخره المدخرون هو ارضاء الله

سبحانه وتعالى بالصدقات ومواساة الفقراء واصطناع المعروف مع عباده والمرابى بعيد عن ذلك كله وان شجرة الشح لتورث القلوب أمراضاً تعوقها عن التجمل بكل خلق كريم وانها لتضعف اليقين وتميت الايمان وتقطع علائق المروءة من القلوب وتجعل الرجل فى جبنه أضعف قلبا من المرأة وما كانت المدنية الاسلامية إلا لتجعل الرجال رجالا لا تفتنهم الاموال ولا تدنس أعراضهم خبثات الاحوال وما كانت آدابها الا لنلحق من تأدب بها بالملائكة لا بالشياطين

وان من مضار الربا انه يوجد في أحد المتعاملين استعداداً تاماً للتلبس بجريمة الحقد والحسد وكتمان الغل والدغل مع مزاحمة التملق لهذه الانفعالات القلبية التى لا يمكن الفقير المعدم المطالب بما عليه من الديون لدائنه من مدافعتها عن قلبه بحال من الاحوال ولكنه يظهر الارتياح لذلك العمل السيء والرضا بتلك الضربات الموجعة إرضاء لاولئك الاشحاء واستمالة لقلوبهم وذلك هو النفاق المذموم وهل يكون حال المرابى الذى يريد أن يضم مافى أيدى الفقراء الى مافى يده الا كحال أحد الاخوين المتخاصمين الى داود عليه السلام اذ قال لهأحدهما (ان هذا أخى له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة فقال أكفلنيها وعزنى فى الخطاب .قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الي نعاجه وان كثيراً من الخلطاء ليبغى بعضهم علي بعض الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم)

وهل من باغ أشد بغيا ممن يخرب بيت أخيه فى الجنسية وفى الدين والوطنية ثم يذيقه مرارة الضيق وحرارة الفقر ليكون هو كثير المال أو ليزيد ماله الكثير كثرة حيث لا يراعي أن الموت سيحول بينه وبين ما جمع منه ثم هو لا يدرى بعد موته الى أين يصير هو وماله فكم من ذى مال مات وتمتعت بماله أعداؤه (فويل للذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم

ولقد داعت المدنية الاسلامية فى المرابات مضارا كثيرة فى الشؤون الاجتماعية لايسع المقام استقصاؤها ذكرا ولا ضرورة لبيانها فان ما آل اليه حال السواد الأعظم من سكان القرى والأمصار من شدة الضنك ونكد العيش وخراب الديار ونزع الممتلكات من أيديهم وخلو الخزائن والجيوب من الدنانير وتورط أوحال الحياة التي سجنت قلوب كثير من الاغنياء فى محابس الحسرة والأسف وكبلتهم فى أثقل قيد من قيود الهموم والعناء الدائم وغير ذلك من الكروب المشهودة التى لاتحتاج الى بيان وكل هذا وما وراءه من المضار نتائج إرشادات المرشدين الذين زينوا للناس هجر آداب المدنية الاسلامية بدعوى أن التمسك بها تنطع وجمود وحسنوا لهم متابعة المدنية الاورباوية حتى تنافسوا فى المسارعة الى التفاخر والتباهى فيما لا فائدة فيه فكان ذلك التنافس سببا فى التوسع فى الاسراف وكان الاسراف سببا فى المرابات وكانت المرابات سببا فى ضياع الممتلكات وفى كل كرب شديد ولوأن الناس تمسكوا بآداب المدنية الاسلامية لما وقعوا فى العناء ولا تورطوا أوحال الشقاء ولا أصبحت ثروتهم التي كانوا عليها كرماد اشتدت به الريح فى يوم عاصف لايقدرون مما كسبوا على شئ ذلك هو الضلال البعيد

ولكن تلك التمويهات التضليلية مازالت متمكنة من قلوب الذين يظنون أن ظلمة الزيغ تنورا وان الزندقة والنسانة تهذيبا حتى أصبحوا وهم لا يهتدون الى الرشد سبيلا فلو أننا ناديناهم ياأهل الدين القويم انكم كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر فما لكم تساقطتم من أرفع منزلة فى معاهد المجد الأدبى الى حضيض النقائص التقليدية التى أرشدكم اليها الزائغون فهلموا الى دينكم وتمسكوا بنصائح رسولكم واقتصدوا فى معيشتكم وليصبر الفقير منكم على فقره راضيا حتى يغنيه الله بغير مرابات وليصبر الغنى على

فناه متجنبا وجوه الاسراف حتى يلقى الله وهو عنه راض لقابلتنا قرائن الاحوال بقول الاقدمين

قالوا المجمل زمن قال لاشفة متلاصقه. ولا أصابع متفرقه

ذلك بأنهم يريدون التشبه بالأوروباويين تمسكا بهدي أولئك المرشدين وذلك أمر غير ميسور لأن الأوروباويين جاؤا فى غفلة من الزمن وفترة من المعارف فوجدوا أبنهما كالانعام استعملوها فى مصالحهم حتى أضعفوا قواها وظهر عليها الهزال واليوم قد استيقظ الزمن وتنبه بنوه وما بقى فى الامم نائم الا من اجهدوا نفوسهم فى مخالطة الكمريرات فأنفقوا عليهن كل ما آل اليهم من المواويث حتى أصبحوا فى بلاء من الفقر مهين (فائدة) شكى بعض الصحابة لرسول الله صلى الله عليه وسلم تراكم الديون عليه فعلمه دعاء فكان سببا لوفاء ديونه فما على مديون من سبيل اذا دعا ربه بهذا الدعاء اللهم فارج الهم كاشف الغم مجيب دعوة المضطرين رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما أنت ترحمنا إرحمنا رحمة تغنينا بها عن رحمة من سواك انك على كل شيء قدير

فليطلب المهموم الأسباب مع الركون وحسن التوكل على رب الارباب والله سبحانه وتعالى فعال لما يريد

نهي عن اتخاذ الزخرف

ولقد حرمت المدنية الاسلامية اتخاذ الزخرف من كل شيء. وانريد بالزخرف هنا الا كل قول أو حال أو عمل لا تدعو اليه الضرورة ولا يفيد المتلبس به فائدة فى حاله ولا فى مآله فان الله سبحانه وتعالى ماخلق الزخارف للانسان ونهاه عن اتخاذها الا ليبتليه حتى اذا ظهرت عليه آثار قابليته واستعداده علم نفسه أشقي هو أم سعيد لان أنواع الزخرف كلها تنحصر فى دائرة القول والحال والعمل وهل يكون صادق القول قليل المقال كمن كان كثير اللغط ميالا إلي زخرفة كلامه وان كان كاذبا (كلا) كما أنه لا يكون صحيح الحال المعرض عن التباهى والاعجاب فى كل ما تلبس به كمن لا هم له الا زخرفة أحواله وتزينه للناظرين وكذلك صاحب العمل

الصالح المفيد النافع لايكون كمن زين له سوء عمله فهو وراء اغراضه وملاهيه

مثال ذلك أخوان كلاهما متكلم وذو مال وقادر علي كل عمل أو حال يبتغيه فكان أحدهما لايتكلم الا عند الضرورة بما يأتى بالفائدة المطلوبة والأمر المقصود ولا ينفق ماله الا فيما أمره الله به من دواعي التعاون الاجتماعي من مواساة الفقراء وإعانة الضعفاء واكرام النزيل وبر الوالدين وصلة الرحم وقضاء حوائج الجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وغير ذلك من أنواع البر التى كلف الله الانسان بالدأب عليها حتى يكون متخلقا بأخلاق ربه ثم هو لا يتلبس فى أحواله وأعماله الا بما تقره عليه الآداب الكمالية وترتضيه الأوامر الالهية

وكان الثانى كثير اللغط قليل الصمت عريض الدعوى سيء الجدل معجبا بمقاله متعرضا لابداء الآراء بلا طلب سريع الاجابة عما يسأل عنه غيره عارضا جميع معلوماته علي آذان السامعين منفقا ماله من المال فى زخرفة مبانيه وملابسه وأوانيه وملعبه ومركبه ولا تراه الا متزينا لكل ناظر فى جميع أحواله لا بزينة الأدب والوقار ولكن باسوء عمل من التعالي والاستكبار فهل يستويان مثلا كلا ولكن أكثر الناس لايفقهون

وتالله ماحرمت المدنية الاسلامية الزخرف الا لتحول بين الانسان الكامل وبين مايجعله عند الله فى تعداد البهائم أو كالصبيان الذين تلهيهم الملاهى عما هو مطلوب منهم ولتمنعه عن تعاطى مايجعله ضائعا فى حاله وفى مآله فانه ان كان ذاعناية بزخرفة المأكل والمشرب كان مرجع الضمير من قول القائل من كانت همته بطنه فقيمته ماخرج منها وان كان ذاعناية بزخرفة الملبس عارضه قول القائل لاتتم مروءة الرجل حتى لا يدري أى ثوبيه لبس وان كان ذاعناية بزخرفة المقال لحقه وعيد قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وهل يكب الناس فى النار على مناخيرهم الا حصائد ألسنتهم فلذلك حرمت المدنية اتخاذ الزخرف والتشوف

الى نوع من أنواعه عملا بقول الله تعالي لنبيّه ولا تمدن عينيك الي مامتعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه)

وان الله تبارك وتعالى جل شأنه وتقدست اسماؤه قد أبت رحمته الواسعة وعدالته العظمى وحكمته العلية أن يترك الانسان وهواه وهو محط نظره من خلقه ولاأن يذره مأسوراً لشهواته كباقى الحيوانات بعد ماسخر له المخلوقات واستخلفه فى أرضه وأمره بالاعتدال فى شؤونه وحمله الامانة المراد بها انه يعطى كل ذى حق حقه كما أشرنا الى ذلك بقولنا فى كتاب نشر الاسرار البشرية

إذا المرؤ لم يرزق من العدل مركبا ينجيه فى بحر الحياة من الغرق

أحاطت به ريح الملاهى وموجها وأصبح مقذوفا الى النار واحترق

وما العدل الا الدين والعقل بابه وعدل الفتى أن لا يضيع لديه حق

ولله بل والنفس والخلق كلهم حقوق على الانسان ما دام ذارمق

لذا كان فوز المرء فى حفظ نفسه من البغى والتفريط والحرص والشبق

أبى الله سبحانه وتعالي أن يترك الانسان هملا حتى يدركه الموت وهو على حال سيئ من الاشتغال بتحصيل مالا يفيده فائدة كالانتقال من لاهية لألهى منها ومن ألعوبة لألعب منها فيأتيه الاجل وما أعد للدار الآخرة عدة وقد أمره ربه أن يعبده وعرفه أنه ملاقيه فعلمه كيف يتهيأ لذلك التلاقى ونهاه عن الاسترسال وراء الملاهى الشهوانية والألعاب الزخرفية حتى لا يكون كالصبي الذى كلما مرت به لاهية تبعها وكلما علم بألعوبة كابد مشاق العناء عَدْوا حتى أدركها وما زال كذلك حتى وافاه المساء وقد نسى نفسه وبعد عن أهله ولم يجد مكانا يؤويه وما تفطن الا وهو في مدهشات حسرات وموجعات زفرات وهل للاهين بزخارف دنياهم من مساء إلا حلول الاجل وسكرات الموت وهل لهم من مأوي اذ ذاك الا ظلمات القبور ومزعجات النشور حيث لا يفيد الاسف ولا يغنى الندم

ثم انها أى المدنية الاسلامية راعت أن جلب المنافع للاجسام ودفع المضار عنها يكفى فيه القليل من الاسباب كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يكفي ابن آدم لقيمات يقمن صلبه ومن المعلوم أن كل مازاد عن القليل فى المأكول والمشروب لايجلب الا ضرراً وكذلك كل الشهوات وانا لنعلم علم اليقين أن أهل التقشف أقوى أجساما وأهدأ بالامن المتنعمين لولا اندفاع بلايا المتنعمين عليهم وهم غافلون فلذلك حرمت مدنيتنا اتخاذ كل زخرف واما المدنية الاوربية فانها أباحت ذلك بل تحتمه علي من اتبعوها الا انها أى تلك المدنية ماهى مدنية سماوية ولكنها من مخترعات عقول لاتركن الي الوصايا الدينية كما لا يرضى المريض مرير الدواء وما كانت دعوة المرشدين الآن الى متابعتها الا لانهم ما قعدوا مقاعد الارشاد عن مرجحات استحقاق كمالي اكتسبوه من متابعة الادباء المحققين ولا عن وراثة نبوية تحققوا بها فى أقوالهم وأعمالهم وأحوالهم. كلا ولكنهم قعدوا تلك المقاعد ووقفوا هاتيك المواقف عن مقاومة إقدام وجرأة اعجاب جاءت بها طلاقة اللسان وجمود العين وغلظة القلب والرضا عن النفس ومحبة الظهور وعدم المبالاة بما يكون فى العواقب من سخط الله أو رضاه فويل للذين ظلموا من مشهد يوم عظيم

ولكنا لو نادينا أهل هذا الزمن المشحون بالبلاء العام والمصائب الكبري أن تأملوا ياقوم سرعة مرور الايام وزوال النعم عن أربابها وانظروا الي آثار الذين سكنوا الديار من قبلكم واغتروا بزخارف دنياهم وما أغنت عنهم من الموت شيأ بل تركوها وهم كارهون وأخذوا على غفلة وهم لاهون فلا تتبعوا أقواما لا تيقظهم المواعظ ولا تزعجهم العبر ولا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم ولا تقطعوا طريق المواصلات بينكم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وما تلك الطريق إلا محبة السلف الصالح ومتابعتهم واقتفاء آثارهم فانكم إن تركتم

هذه الطريق فلا نجاة لكم

فقال لنا الناقد البصير مهلا أيها الناصح لاتجهد نفسك فى معاناة ماأنت فيه فما أنت بهادي العمى عن ضلالتهم وما قومك الآن بأهدى من الذين عبدوا العجل وافتتنوا به وأساؤا رسالات ربهم وماعاب عنهم نبيهم الا أياما قلائل ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيأتى على أمتي ماأتى على بنى اسرائيل حذو النعل بالنعل حتى لو كان فيهم من أتى أمه علانية لكان من أمتي من يعمل ذلك فهون الامر على نفسك فان مراد الله بالناس الآن ماهم عليه ولو أنه علم فيهم خيرا لأسمعهم ولكنهم فقدوا قوابل الانقياد إلى الرشد الصحيح وما عندهم من استعداد لتلقي النصائح وقد ضرب الاقدمون لمن هذا حاله المثل بقولهم

قالوا للجمل زمر قال لاشفه متلاصقة ولا أصابع متفرقة

واحسرتاه على أمة كانت خير الامم رشادا وارشادا وكانت مأوى الدين ومعهد علومه ومظهر آدابه فأصبحت بفضل مرشديها الآن ينادى عليها بمفهوم قوله تعالى ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لايعقلون اللهم اهدنا بنورك اليك وأمنا بصدق العبودية بين يديك اللهم اجعل ألسنتنا رطبة بذكرك ونفوسنا مطيعة لأمرك وقلوبنا مملوءة بمعرفتك وأرواحنا مكرمة بمشاهدتك وأسرارنا منعمة بقربك وارزقنا زهدا فى دنياك ومزيدا الديك إنك على كل شئ قدير

ولقد حتمت المدنية الاسلامية على كل من يحب أن يتجمل بآدابها أن يتقيد بقيود التكالف الدينية وأن لايرى نفسه الا عبدا مأمورا وأن يعلم أنه لايملك لنفسه ضرا ولانفعا وأن يلجأ الى ربه مستعينا به على جميع أعماله وفى جميع شؤونه ولكن المدنية الاوربية أباحت لمن اتبعها المروق من كل قيد تكليفى لايلائم أغراضه ولا يوافق هواه ثم أقرتها على ذلك الفلسفة الطبيعية التى زعم زعماؤها أن الانسان حر فى ارادته وفى تدبير أعماله وفعال لما يريد ولقد

قام مرشـدونا اليوم ومعلموا أبنائنا ينادون بذلك فى مقـدمات ارشاداتهم وتعليماتهم وما كان قول أولئك المرشـدين أوالمعلمين عن عـلم صحيح أو تصور صائب كلا ولـكنهم علموا من طريق السماع بأن فـلانا الفيلسوف الذي كان أكبرمفكر فى زمنه قال ان الانسان حرفقام كل معلم رافعا صوته بذلك ظانا أنه متى قال بقول ذلك القائل ولو بلا تعقل اندرج فى تعـداد المتفاسفين كما يعمل غالب الاغبياء من شبان هـذا الزمن فقد يتعمد الاحمق منهم القول المكفر ليقال أنه متمدين وقد يجحد أمر دينه ويستهزئ به ليقال هذا فيلسوف ماهر وما هو بفيلسوف ولا من المتأدبين بآداب المدنية إذ لا مدنية مع فساد الاخلاق ولا فلسفة مع الحماقة والغرور وما ذلك إلا من عمل القدرة الالهية التي لا تعجزها تعمية التضليل على الاشقياء وهـداية التوفيق فى السعداء حتي يضـل قوم بما اهتدى به آخرون كما كان ذلك فى أوقات النبوّات فما من نبي إلا وقـد أبان لقومه آيات بينات وأمرهم بأعمال صالحات ونهاهم عن خبائث المحرمات فكان السعيد الذى سبقت له منهم السعادة الأزلية بطهارة القابليه والاستعداد ينقاد إلى الرشد ويرى الحق حقا فيتبعه ويرى الباطل باطلا فيجتنبه ثم يشهد لمن أرشده بأنه رسول الله وانه علي صراط مستقيم من حيث أن الشقى الذى كان خبيث القابلية والاستعداد علي مهارته وقوة زكائه قائم ينادى على ذلك الصادق الأمين الذى ماقال الا الحق ولا أرشد إلا إلى الصواب ولا جاء إلا بالآيات البينات أنه ساحر كذاب وماذلك الا لأن قابليته لاتقبل النصائح ولأن استعداده لا يصلح لمتابعة السعداء ولان الله سبحانه وتعالى لم يجعل له نورا يزيل عنه غياهب العمية التى هى من أعمال الألوهية فيمن لا يصلح لمنازل الأبرار كما يشهد بذلك قول هود عليه السلام لقومه (وياقوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربى وآتانى رحمة من عنده فعميت عليكم أنلزمكموها وأنتم لها كارهون)

وكما نراه الآن فى القوم الذين هجروا دينهم وتجنبوا الكمالات الأدبية واتبعوا أهواءهم شكا منهم فيما بعد الموت وركونا إلى مكفرات الطبيعيين مع علمهم بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جاء الا ليخرجهم من ظلمات ذلك الزيغ المهالك الى نور المتابعة التي تهدى الى الصراط المستقيم ومع علمهم بأننا لو قارنا بين أعمال أمهر فيلسوف طبيعى وبين أعمال أضعف ضعيف من أهل الانكسار والتقوى لكان الاخير أحسن حالا وأصلح أعمالا وكنا كمن قارنا بين ملك وشيطان وذلك لان كلاهما لا يعمل الا عن علم لان حكمة الله سبحانه وتعالى اقتضت أن الشقي لا يشقى الا عن علم وعمل وأن السعيد لا يسعد الا عن علم وعمل وقد تتحد المعلومات المعروضة على الاثنين عقلية كانت أو نقلية فتنصرف فيها قابلية أحدهما بضد تصرف قابلية الآخر كما يشهد بذلك قول لقمان لابنه يابنيّ جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك فان الحكمة نزلت من السماء صافية فصرفها الناس الى ما تهوى أنفسهم.

وان كثيراً من الطبيعيين ليقولون أنهم تكبدوا مشاقا كثيرة فى العمل بأعمال الصوفية وانهم ما تركوا طريقا من طرقهم الا سلكوها وما وجدوا نتيجة لتلك المجاهدات من حيث أن كثيراً من الصوفية نال بلا تعب مالم ينالوه وعلم من الله ما لم يعلموه وما ذلك الا لان الطبيعيين ما انفطنوا الى أن العيب عند القوابل والاستعدادات التى أضرت بابليس بعد ما كان طاوس الملائكة وهل أورد أعيان هذا الزمن وزعماءه المتمدنين موارد التهلكة الزيغية وصرعهم فى مصارع الاعجاب والغرور الا حكم القوابل والاستعدادات التى صرفتهم عما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الآيات والذكر الحكيم الى تمويهات رجال ماهم من أهل الدين ولا من ذوى التقوى والاستقامة ولكنهم ممن تناوشوا معلوماتهم من طرق متفرقة بلا فكر ولا روية فما أورثتهم الا اعجابا وغروراً حتى توهم كل

منهم من نفسه أنه عليم حكيم وهل ترك شيئا من الجهل من جهل نفسه وأصبح معجبا بها بعد قول الله تبارك وتعالى وفوق كل ذى علم عليم

قام القوم يقولون ان الانسان حر فعال لما يريد من حيث لم يعلموا أن ذلك الحيوان الناطق ما هو الا نوع من أنواع الحيوانات يأكل كما تأكل الانعام ويبول كما تبول وأنه لا فرق بين عمله اذا وقف فى أحرج المواقف فى مقابلة العدو يوم الجهاد اذ هو يحاول نيل ما يريد وبين عمل البرغوث الضعيف الذى يمتص دمه حتى اذا حاول افتراسه التجاء ذلك الضعيف الى المحاولة والتحول من مكان الى مكان بكل سرعة ونشاط حتى لا يتمكن ذوا البطش الشديد من الفتك به وربما نجحت حيلته وفاز بما تعاطاه من دم عدوه ثم تربص العودة للامتصاص اذا سها المفترس وهل يكون عمله فى طلب مايشتهيه الا كعمل البعوضة التى تدور حول جسمه لتتبين موضعا ذا مسام لتضع فيه خرطومها لترتوى من دمه وهل ينكر أولئك السفهاء أن كل حيوان من الحيوانات أوتى من الادراكات الالهامية ما به يقوي على تناول ضرورياته وأن الانسان ما تميز عن باقى الحيوانات الا بما يلقى اليه من العلم إما من طريق الرحمن وإما من طريق الشيطان وشتان ثم شتان بين من يتولاه الرحمن وهو يتولى الصالحين وبين من يتولاه الشيطان ان الشيطان كان للرحمن عصيا

قال الله تبارك وتعالي فى كتابه الحكيم (سنريهم آياتنا فى الافاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق) وقال فى موضع آخر (وفى أنفسكم أفلا تبصرون) وهل يعمى عن نفسه إلا من أضله الله وأخذت التعمية الالهية بخنقه الى مواقف افتتانه فنسى نفسه وغاب عن عمل خالقه فيه

أو لم يقل الحق جل شأنه وتقدست أسماؤه فى محكم التنزيل من سورة تبارك فى مقام التوبيخ للمنافقين الذين كانوا يضمرون السوء لرسول الله صلى الله عليه وسلم

(وأسروا قولكم أواجهروا به انه عليم بذات الصدور * ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير) وقال في موضع آخر (والله خلقكم وما تعملون) وهل من منكر جهول يدعى أن وسوسة الصدور ليست من عمل الانسان وأن الخالق لها هو الله ولو لم يكن هو الخالق لها لما علمها ولما قال وهو أصدق القائلين (ولقد خلقنا الانسان ونعلم ماتوسوس به نفسه ونحن أقرب اليه من حبل الوريد) وهل للعلم بتلك الوسوسة طريق الا من جهة القلوب وهل ترد على القلوب واردات أو بواعث الا من عالم الملكوت المشار اليه بقوله تعالى (فسبحان الذى بيده ملكوت كل شئ والیه ترجعون) فما أجهل الانسان وما أظلمه وما أنكره للحق الواضح وما أعماه عن البيان المبين

فلو أن القائل بأن الانسان حر أبصر نفسه كما أبصر أهل البصائر النيرة نفوسهم لعلم أنه مركب من آلات ظاهرة مرئية تحكمها أشياء غيبية باطنة فيها لايعلم حقيقتها الا الله لأنها من جنود الله (وما يعلم جنود ربك إلا هو) فلا تتحرك تلك الآلات الظاهرة الا عن باعث باطني يوجهها الى حيث يشاء المحرك الحق وهل يكون القلب الذى هو القطعة الصنوبرية من اللحم الا كتلك الالات في التسخير لماوراءه لانه هو والجسم كله سواء بسواء حي ما صحبته الروح ميت عند مفارقتها فهل تكون البواعث على الاعمال الا غيبية وهل في الغيوب أحد غير الله الذى هو مقلب القلوب والابصار ومزين الاعمال لعمالها والذى أوقف أقواما عند الاصنام المنحوتة فعبدوها ثم سخر آخرين للافيال فاتخذوها آلهة وزين لقوم عبادة الشمس ولآخرين عبادة البقر وفتن أناساً بآدميين اتخذوهم آلهة وعرض على قوم أعماله في طبائع الاشياء فوقفوا عندها وحجبهم بظواهر المرئيات عن بواطنها وغيبهم عن أسرار التكوين التى أبصرها العارفون

ولو أنهم أدركوا الحقائق لعلموا أن الفلسفة الطبيعية ماهى الا موقف من

المواقف التي وقف عندها المحجوبون الذين لم تساعدهم قوابلهم واستعداداتهم عن الوصول الى الغاية التي وصلت اليها همم العارفين ومدارك المبصرين ويسمى ذلك الموقف عند العقلاء موقف الغرور والاعجاب وصاحب ذلك الموقف لايمكنه اعجابه بنفسه من الاصغاء للناصحين ولا من متابعة العارفين لانه يرى أن كل عالم ماوصل الى مدارك علمه وانه هو العليم الحكيم الذي لاعلم الا ماعلم ولا صواب الا مافهم

ولا يزال من كان هذا حاله متوكئا على عكاز ظنونه حتى يتخذ الطبيعة إلها فتحيط به دائرة الخزي والخجل من قوله تعالى يوم القيامة لأهل النار في مقام التوبيخ (وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم فأرداكم فأصبحتم من الخاسرين) وهل من طبيعي من مبدء الدنيا اعتمد في سيره الا على ظنونه في جميع معلوماته ذلك بأنهم لايقولون بالوحي السماوي ولا يتبعون الا الظن الذي يسمونه عقلا ولو أنهم كانوا عقلاء لعلموا أن العقل الذي تذهب به جرعة خمر أو دهشة مرض أو فزعة صائح مُزعج لايستطيع أن يقف هذا الموقف الحرج الذي يفضي الى نزع الملكية وسلب الحقوق من مالك قوي لاينازع في ملكه إذ الانسان ان كان حرا فعالا لما يريد لكان ربه في جانبه كالمتفرج ولكانت المقادير الالهية لاسلطة لها عليه لافي ضر ولا في نفع وذلك مضاد لقوله تعالى (وان من شيء الا عندنا خزائنه وماننزله الا بقدر معلوم ، وقوله تعالى (نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا) فهل لأولئك السفهاء ان كانت لهم عقول عادلة مميزة أن يعطوا كل ذي حق حقه فان مافي الوجود إلا إله ومألوه ورب ومربوب وخالق ومخلوق وما في الوجود مرتبة بين المرتبتين وأوصاف الاله مضادة لأوصاف المألوه وشؤنه مخالفة لشؤنه من جميع الوجوه ولو لم يكن كذلك لكانا متماثلين والتماثل يفضي الى سقوط إحدى المرتبتين بمعنى انهما لو تماثلا لاتحدت المراتب ولصح أن يكون الاله

مألوها والمألوه إلها وذلك محال لا يتوهم وقوعه إلا من كان طبيعى الجنون لان الاله من صفاته القدرة والمألوه من صفاته العجز ومن صفات الأول الغنى ومن صفات الثانى الفقر والاله عزيز والمألوه ذليل وذلك قوي وهذا ضعيف
ومن المستحيلات العقلية والشرعية أن يتصف صاحب مرتبة من المرتبتين بما به يتصف صاحب المرتبة الأخرى

فأى عقل لمن يقول أن الحيوان الذى تلازمه هـذه الأوصاف الأربع حر لا ينبغى أن يقيد بقيد من القيود التكليفية مع علمنا بأن الذى قيـده هو صاحب المرتبة التى تعالت فى مكانة أوصافها أن يعارضها معارض أو ينازعها منازع هـذا من جهة الحقيقة الباطنة التى يخفى على الضالين أمرها وأما من طريق الظواهر فنقول ان معنى الحرية ماهو الا تمتع الحر بكل ماتميل اليه أمياله القلبية حيث لا يكون تحت مسؤلية سائل وحيث لا يخشى ملامة رادع أو زاجر وحيث تكون له قابلية واستعداد لان يدبر مصالح نفسه بنفسه وذلك حال ماصح لأحد من المخلوقات البشرية حتى ولا للانبياء كما هو معلوم للعقلاء وكما سنبينه للمطلعين وذلك لان أولى الالباب الذين أحسـنوا التصور فى البحث عن الحقائق قد تحققوا أن هذا الحيوان الناطق الذى هو أسبق الحيوانات الى النقائص ارتكابا وأوسع المتلذذين بها فى أودية الملاهى والشهوات مجالا لا ينفك من مبدء حياته الى يوم مماته محاطا بضروريات أغراض ومآرب يتقلب فيها كلما تقلبت به أطوار الحياة المتفاوتة وما من طور الا وله شهوات وأغراض تخالف شؤن الطور الذي قبله والذى بعـده والشاهد لنا على صدق مانقول أن شهوات الطفل أقل من شهوات الصبي وشهوات الصبي أضعف من شهوات الشاب وللشاب شهوات ما كان يشتهيها وهو فى الطور الأول والثانى وللرجولية أغراض ومآرب تخالف أغراض الشبوبية كما أن للشيخوخة شؤون فوق هاتيك الشؤون وما من غرض

ن تلك الأغراض ولا شهوة من تلك الشهوات ولا شأن من تلك الشؤون إلا وله حكم فى طبع ذلك الحيوان وتحكم فى شعوره واحساساته وفى جميع مدركاته يحوجه ذلك التحكم الى سرعة الاندفاع الى تنفيذ ذلك الحكم ولو كان فيه حتوفه وتهلكته

ومن كان هذا حاله لاغني له عن معين يقويه على مقاومة الدفاع بعد معرفة طرق التناول النافعة والضارة والوقوف على حقيقة ماينبغى تعاطيه منها وما يجب تجنبه وانه فى ذلك كله لمحتاج الى زاجر يزجره عن الافراط فى تناول ماتنبعث اليه أمياله الشهوانية وشهواته البشرية ثم الى رادع يردعه عن التفريط فى اتخاذ أسباب التناول إذا مادعت اليه الحاجة كما أنه غير غني عن قائد يقوده الى معالم الاعتدال والعدل التى شيدتها الشرائع عند تلبسه بأى شأن من شؤنه التى ضررها أقرب من نفعها وماهو وحده المسارع فى تلك الشؤون ولكنه واحد من مئين وألوف من الشركاء المتنازعين والمتنافسين والمتسابقين كل يود أن يكون فوق الآخر ويرى أنه أحق من كل شريك بل ربما كان فيهم من يرى نفسه أنه وحده هو صاحب الاستحقاق وأنه لاشريك له فيما تشتهيه نفسه وتتوجه اليه أغراضه فلو أن هذا الحيوان الذى من شأنه الغرور والطغيان ترك وشأنه كباقى الحيوانات بلا قيود تكليفية وتعليمات سماوية لكان كما تكون الحشرات والهوام التي تأكل بعضها بعضا وان لنا فى قصة قابيل وهابيل وبعث الغراب لارشاد القاتل لمورات المقتول لعبرة (ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون)

وانا ليدهشنا رضوخ أولئك السفهاء الي القوانين السياسية وما وضعها الا عبيد أمثالهم واتخاذهم طريق الاباق ودعوي الحرية مهربا من القوانين السماوية التى هى أصلح الارشادات لمصالح ذلك الحيوان الظلوم

ثم انى لاأدري من أي طريق وصل مرشدونا ومعلمونا الى العلم بأن

هـذا الحيوان حروما هو الا حيوان من الحيوانات التى لا تعلم الا اذا علمت ولا تفهم الا اذا فهمت بل ربما كان من الحيوانات من يهتدى الى جلب منافعه الماشية ودفع مضاره بلا معلم وليس الانسان كذلك وما كانت الحيوانات مشابهة له فيما هو منوط به من الأعمال النظامية التى تحمل القيام بأداء واجباتها بموجبات قابليته واستعداده كما أنى لا أدرى من أى طريق يخرجونه من دائرة التكاليف مع علمهم بأنه مسلط على جميع الحيوانات التى هى مثله فى الانتساب الى خالقها وما سخرها له الا لحكمة التكليف. حتى يكون مسؤولا عن تعديه حدود ما كلف به ولو لم يكن كذلك لكان للقوى من البشر الحق فى العمل بالضعيف مثل مايعمل بباقى الحيوانات كما أنى لا أدرى من أى طريق استنكفوا التكليف بعد توبيخ الله لهم بكثير من الآيات التى منها قوله (قتل الانسان ما أكفره من أى شئ خلقه من نطفة خلقه فقدره * ثم السبيل يسره * ثم أماته فأقبره * ثم إذا شاء أنشره) فلو تبصر مدعي الحرية المفتون فى مراحل حياته من يوم نزوله من الاصلاب الى ظلمات الارحام من حيث لم يشعر بنفسه وما علم به أبوه ولا درت أمه أن هـذا الطارق هو فلان الذى سيكون لخالقه خصيما مبينا ثم تذكر مدة الحمل والحال التى كان عليها وهو لا يملك لنفسه شيئا ولا له أدنى تصرف فى شأن من شؤونه والحال التى كان عليها عند الخروج من مضيق الفروج وأمه ومن حولها من النسوة على أرفع درجة من درجات التسليم والتفويض الذى هو حرفة كل مخلوق الا من غدت عنده شقوته ثم تفكر فى صنع الرب الجليل به فى جميع أطواره لنبه من سنة غفلاته واستيقظ من ذلك النوم الثقيل الذى حاله فيه كحال المغمى عليه الذى لا يشعر بنفسه اذا بال أو تغوط ولا مغالات فى هـذا التشبيه فان خزى المفرض الذى يدعي أنه حر عندما تنبهه مزعجات المنايا أدهى من خزى الذى بال فى فراشه وهو نائم عندما يرى نفسه ملوثا

وانى لينغلب على ظنى أن مرشدينا من باعة الكلام ومن حولهم من المطمين لايعنون بلفظ الحرية الا التخيير الذى تدعيه المعتزلة اذ يزعمون أن الانسان مخير لامسير لانه كما يقولون قد أوتى من القدرة والارادة ماخول له أن يكون مخيراً فى عمله إتيانا وتركا وقد أنزل الله عليه آيات الوعيد والتهديد وبين له طريق الخير والشر وتركه وشأنه يفعل مايشاء حتى اذا لاقاه أنجز فيه أحد الجزائين كما قالوا وهذا هو ظن الذين أدلى بهم الغرور فى ظلمات الزيغ الى مهوات الهلاك الأبدى من حيث لايشعرون

وأما الذين هداهم الله وأرشدهم الى حقائق الأحوال وفتح أسماعهم وأبصارهم وطهر أفئدتهم فقد أبصروا الأمر على ماهو عليه وعلموا أن مرتبة الانسان الوجودية لاتؤهله لأن يكون قائما بنفسه عاملا على وفق ارادته قادراً على انجاز مايريد لانه لو صح له ذلك لعارضت ارادته ارادة ربه فقد يريد الله به أمراً لا يريده هو لنفسه كما أن الانسان قد يريد أن يوقع بعدوه أمراً لا يريده ربه أو أن يجلب لحبيبه منفعة لا يريدها الله فتتعارض الارادات والمرادات وتكون الغلبة للقوى وما فى الوجود إلا رب ومربوب وإله ومألوه ولا مشاركة بينهما فى الاوصاف ولا مناسبة فى الحقائق ولا تشابه فى الشؤون بل كل منهما له شؤون وأوصاف خاصة بمرتبته وشؤون إحدى المرتبتين مع الأخرى على طرفي نقيض فان أحدهما مؤثر والثانى مؤثر فيه وأحدهما قديم والثانى حادث والقديم غني بذاته غناء مطلقا والحادث شأنه الافتقار والقديم قائم بذاته والحادث محتاج الى مايقوم به ولذلك جعل الله سبحانه وتعالي الحيوان محتاجا للماء والهواء والغذاء ولما يقيه البرد والحر ويدفع عنه مضار الأمراض والآفات لكيلا يكون له الحق فى دعوى الحرية إن خلقه ربه كالملائكة غير محتاج لما ذكرنا وانه فى الحقيقة لا يملك شيئا مما هو محتاج اليه الا مالكا مجازيا إذ الأشياء لا يملكها الا موجدها

وذلك من مبطلات دعوى الحرية فرحم الله أهل التحقيق ورزقنا متابعتهم

ثم إنهم رضى الله تعالى عنهم لما نظروا فى أنفسهم من حيث أمرهم الله تعالى باشارة قوله (وفى أنفسكم أفلا تبصرون) تحققوا صدق قوله لنبيه (قل لا أملك لنفسى ضرّاً ولا نفعاً إلا ماشاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير * وما مسنى السوء) فعلموا أن الانسان الذى لايعلم ماذا يكون حاله بعد فوات الحين الذي هو فيه ولا يدرى ماذا يكسب غداً لاينبغى له أن يدعي أنه حر سيما وقد تبين عجزه لأهل النظر السليم والفكر الصائب الذين تحققوا أنه هيكل ذوا حواس وجوارح تضطرها بواعث غيبية لايعلم مصدرها الا الله سبحانه وتعالى الذى هو فى الغيوب وحده الى تنجيز أعمال ما كانت فى حسبان ذلك الهيكل قبل أن تأتيه البواعث من مكان لايدريه وما هو الا مسخر لتلك البواعث كما أنه لا يملك من أمر حواسه شيأ لانه لا يبصر الا عن ضوء يقابل حاسة الابصار ولولا الضوء لم يبصر وما كان الضوء مملوكا له ولا يسمع الاعن صوت هوائى وما كان الهواء مملوكا له وما كان كلامه الا هواء متقطعاً يدخل جوفه اذا اضطرته الرئة لاستحلابه حتى اذا امتلأ هواء اضطرت البواعث المخارج لان تجعله صوتاً فتخرجه بحال مخصوص موافق لارادة باعث البواعث القلبية وتقطعه قطعا حتى يصير كلا ماملفوظا مفهوما يوصله الهواء الي مسامع الهيا كل الأخرى لتنفيذ أمر مراد ربما كانت فيه المضرة لذلك الهيكل المتكلم فقد تضطر البواعث الغيبية اللسان الى النطق بما لم يوافق أغراض المتكلم المنسوبة الى قلبه ومن تفكر فى أن القلب ماهو الا قطعة لحم صنوبرية ماخرجت عن كونها قطعة من ذلك الهيكل علم أن طاعة الحواس والجوارح ما هى لتلك القطعة من اللحم ولكنها انقياد لقادر حكيم ماترك للمخلوقات عملا تعمله بلا معونته وامداده ولذلك قال صاحب الانسان الكامل رضى الله عنه مخاطباً لربه القدير

أرانى آلات وأنت محركى   أنا قلم والاقتدار الأصابع
وما أنا جبرى العقيدة إنما   محب فنى فيمن خبته الاضالع

وما كان لمن صرعته أهواءه وغلبته شهواته أن يتمثل بذلك القائل ولا أن يقيس حاله بحاله لان هـذا ماتكلم الا عن مشهد قرب واقبال شهده فى حاله من طريق ماورد فى الحديث القدسى من قوله تعالى ماتقرب الى عبدى بشئ أحب إلىّ من أداءماافترضته عليـه ولا يزال عبدى يتقرب إلىّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسـمع به وبصره الذى يبصر به الى آخر الحديث الشريف ولصاحب هذا الحال الشريف أن يقول لن ينكر عليه ماقاله قائل القوم رضى الله عنهم فى حال التواجد والوجدان

وفى عشق ذات الخال لامت عصابة   يظنون أنى لست بالروح أسمح
يقيسون حالي فى الغـرام بحالهم   وكل إناء بالذى فيـه ينضـح

وما أشار رضى الله عنه بالاناء الا الى الاستعدادات والقوابل فان قابلية المستيقظ الذاكر ماهى كقابلية المتجاهل الغافل

ويؤيد ماتحققه المحققون قول رسول الله صلي الله عليه وسلم خزائن الخير والشر بيد الله مفاتيحها الرجال فطوبى لمن جعل الله مفاتيح الخير علي يديه والويل لمن جعل الله مفاتيح الشر على يديه وما فى الوجود من حال ولا قول ولا عمل يخرج عن دائرتى الخير والشر وما كان الانسان فى تلبسـه بواحد من الثلاثة المذكورة الا مفتاحا لتلك الخزائن وما كان لمفتاح أن يفتح بلا فتاح ومتى ثبت ذلك بطلت دعاوى الحرية والاختيار والارادة الا من الطريق المجازية التي منها تسمى مبانى أماكن القضاء محكمـة وينسب لها الحـكم فيقول القاضى حكمت المحكمه وما الحكم الا للقوانين وما أصدر الحكم إلا القاضى ومن هذه الطريقة النيرة عثر المحققون علي معنى قوله تعالى (لايسأل عما يفعل وهم يسئلون) اذظن

الجهلاء أنه لايسأل عما يفعل لانه قوى لايقاوم وليس الأمر كذلك ولكنه لايسأل عما يفعل لانه حكيم لايضع الأشياء الا فى مواضعها وعليم بشؤون القوابل والاستعدادات (وهو الذى أعطى كل شئ خلقه ثم هدى) بمعنى أنه خصص الأعمال لعالها وقدر أزمانها أزلا على حسن القوابل والاستعدادات ورتب نظام هذه النشأة الأولى ترتيباً محكما ليكون أنموزجا للنشأة الثانيـة كما يفعل الحكيم الماهر اذا مابنى بيتاً وأبدع نظامه وجعل فيه جميع اللوازم المنزلية التى استدعاها النظام الهندسى فوضع مكان الجلوس في ناحية ومكان النوم فى أخرى ثم جعل للرجال مكانا وللنساء مكانا وبنى فى ناحية مرحاضاً وفى أخرى تنوراً إلى غير ذلك من ضروريات المساكن فهل للمرحاض أن يقول لذلك المهندس لم لم تجعلنى محلا للجلوس أو النوم (كلا) لاحق فى ذلك لان استعداده لايصلح لأحدهما ولا قابليـة له الا للعمل الذى بنى لأجـله والمهندس الماهر لايسأل عن عمله لانه ماجاء به إلا بعلم تام وما وضع الأشياء إلا فى مواضعها التى استدعاها النظام الأبداعى عن تدبير محكم كما دونا ذلك فى مواطن كثيرة من الكتب .

وهكذا هو الأمر فى نظام الموجودات العلوية والسفلية فما كانت ولا تكونت إلا عن تدبير عظيم وترتيب محكم يستحيل وقوعه إلا من حكيم حميد لاتخالط حكمته العبثيات ولا يلحق تدبيره غلط ولا نسيان ولذلك قال فى مقام الامتنان (الذي خلق سبع سموات طباقا * ماترى فى خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور * ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير) ومن كان هذا العمل البديع عمله وتدبير حكمته لا يسأل عما يفعل لانه لو صح للانسان الشقى الذى حكم عليه استعداده الازلي بأن يكون فاسقاً أو سارقا أو مدمن خمر وكان من أهل النار أن يقول لخالقه لم خلقتنى شريراً لاهياً وجعلتنى من أهل

النار وخلقت أخى تقياً وجعلته من أهل الجنه لنادته الحقائق قائلة ياهذا ما كان
استمدادك إلا لذلك العمل وما كانت قابليتك لتقبل غيره ولولا حكم القوابل
والاستمدادات لما كان لك أن تأ كل حيوانا ولا أن تتسلط عليه بحال من
الاحوال فكما أن الخيل والبغال والحمير خلقت للركوب والغنم خلقت لان تذبح
فكذلك الشأن فيك فلا تتكلم لان حكمة الحكيم الخبير لا تضع الاشياء إلا في
مواضعها ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها وما كان فى وسع خبيث الاستعداد والقابلية
أن يعمل خيراً إلا مكرهاً أو لغرض من الاغراض كما أن طاهر الاستعداد
لا يعمل الشر إلا مكرهاً أو لغرض وذلك مايشير اليه قول رسول الله صلى الله
عليه وسلم إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى لا يكون بينه وبينها الا مقدار
ذراع وفى حديث آخر الا فواق الناقة فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وان أحدكم
ليعمل بعمل أهل النار حتى لا يكون بينه وبينها الا ذراع فيعمل بعمل أهل
الجنة فيدخلها

وما ذلك إلا من حكم سابقة الازل التى كانت فيها الحكم للقوابل
والاستعدادات ولذلك قال ابن عطاء الله السكندري فى مناجاته إلهى إن
اختلاف تدبيرك وسرعة حلول مقاديرك منعا عبادك العارفين بك عن السكون
الى عطاء واليأس منك فى بلاء

وما كان لله سبحانه وتعالى وهو المنزه عن الاغراض أن يعمل فى تدبير
ملكه وترتيب شؤون مخلوقاته على غرض أحد من الموجودات وما كان له أن
يخلق عاجزاً ضعيفا محتاجا ذليلا ثم يتركه بلا امداد ولا اعانة (كلا) ولكنه هو
الآخذ بناصية كل دابة الى عملها وما يراد منها وقد قال فى كتابه الحكيم (من
كان يريد العاجلة عجلنا له فيها مانشاء لمن نريد * ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما
مدحوراً * ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان

سعيهم مشكوراً * كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظوراً) وهل يريد ربنا جل شأنه بارادة الانسان فى هذه الآية الا ميل قابليته واستعداده وهل يريد بالامدادالا إيجادالانبعاثات القلبية لتثبت العزائم والاعانة علي الاعمال والأخذ بالنواصى اليها كماقررنا ذلك كله فى كتاب نشر الأسرار البشرية وفى كتات ارشاد الأمم

واذا فلا برهان لمن يدعى أن نسبة العمل للحق سبحانه وتعالى تقتضى بطلان التكليف الشرعي وتكون مظنة الجبر وليس من العدل معاقبة المجبور على عمله وذلك لانها دعوى باطلة لادليل عليها لاننا قد عامنا علم اليقين أن الله تبارك وتعالى مارتب الجزاء الأخروى الا على الأميال القلبية التى هى من أعمال القوابل والاستعدادات التى قلنا ان لها الحكم فى السابقة وفى اللاحقة لقوله تعالى (والله أنبتكم من الأرض نباتا * ثم يعيدكم فيها ويخرجكم اخراجا) وقال فى آية أخرى (منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى) وما كانت قطع الأرض المتجاورة وغير المتجاورة من معدن واحد ولكنها معادن فلذلك كان اختلاف قوابل أبنائها واستعداداتهم ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس معادن كمعادن الذهب والفضة فمن كان طيب المعدن كان ميالا لطيبات الأعمال ومن كان خبيث المعدن كان ميالا لكل عمل خبيث وحال سيء والعامل متى كان ذاميل الى عمله لايسمى مكرها عليه ولا مجبوراً

وذلك لاينافى مايعتقده العقلاء من أن الله سبحانه وتعالي هو مريد العمل وهو مخصص زمن ظهوره على يد عامله وهو الموجد للبواعث التى تبعث العامل لأن يعمل مايريده منه وهو الذي رتب علي كل عمل شؤونا وأسبابا ما كانت فى حسبان العمال وهو الذى يمد كل عامل بمدد خاص ويلهم كل قائل مايقول وهو الذى يخلق فى كلا الخصمين اقتداراً على الجدل حتي يقوي المبطل منهما والمحق

على تأييد دعواه فلا فاعل غيره ولا ملهم الا هو وهو محرك الجوارح ومسكنها كما قلنا من قبل وما كانت أحكام التكاليف ومشروعاتها الا بيانا وتمهيداً لاقامة الحجة على المكذبين الذين أضلهم الله على علم فزاحموا المدبر فى تدبيره سماجة وجهلا وادعوا الاستقلال بالعمل وأنكروا كل مالم تصل اليه مدارك أفهامهم وزعموا أنهم قادرون وعاملون ومريدون ولكنهم اذا دهمهم أمر غيبي أضعف قواهم رجعوا إلى ربهم يجأرون ومن كان هذا حاله فى الدنيا لا يبعد عليه أن يقول فى الآخرة ماحكاه الله سبحانه وتعالى بقوله (ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى) فلذلك كان التكليف وكانت الكتب السماوية وكانت الرسل الذين قامت بهم الحجج البالغة لله سبحانه وتعالي على عباده المكذبين كما قال تعالي (لكيلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل)

ولو أننا نادينا أصحاب الدعاوى الباطلة قائلين لهم تبصروا ياقوم فانكم عمون عن الحق وماهى الا شيطنة زيغية انصرفت بكم عن مواقف العبودية التى من شأنها التيقظ والانتباه والتمسك بالآداب الدينية واعطا الربوبية حقها وأسلمتكم الى مسارح الغرور والاعجاب التي من شأنها الغفلة والغواية والأخذ بالظواهر وتجاهل الحقائق وانها لطرق متشعبة من سلكها سقط فى مهوات قوله تعالى (ومن يتبع غير سبيل المؤمنين نوله ماتولى ونصله جهنم وساءت مصيراً) لقالوا إنكم أنتم الضالون وان الدين الذى تمسكتم به ماهو دين المدنية ولكنه دين أجلاف متقشفين والتمسك به تنطع وجمود

ولو أننا نادينا المعجب بزخرفة لباسه والذي اكتفى من الشهامة ببرم شواربه والذى قنع من عمل العلماء بشقشقة لسانه وبتحسين مقاله والذى أغنته الجرائد حمالة الكذب والروايات الخرافية عن النظر فى مدونات الكمل من

الرجال والذى فضل تعاطى الشهوات عن معانقة الكمالات الأدبية والذى كان كالحيوان الذى يعيش ليأكل ويأكل ليعيش مشغولا بشهوة البطن والفرج عن حاله ومآله والذى أعجبته نفسه فظن أنه خلاصة الخلق وانه من خيار الفضلاء وهو لايعرف ماهو الفضل ولا يدرى ما نعمل الفضلاء قائلين ياأيها العالم المعتبر أو الباشا المحترم أو البك المهاب أو الغنى المحبوب أو التلميذ الماهر من عمار المعاهد الدينية وأقار المدارس الاميرية ان الحال الذي أنت عليه الآن مع من أنت مغمور بنعمه الظاهرة والباطنة والذى صورك فأحسن صورتك وجعلك بشراً سويا والذى يكفلك بكلاءة رعايته فى منامك ويقظتك ويمدك بامدادات الانفاس التي لولاها لم نعش ماهو الا كحال الحيوان الجموح الذى ينطلق عاديا فى مهامه الأودية التى تسكنها الذئاب والاساد من حيث لايدرى ماذا يكون حاله اذا جن الليل وانتشرت الوحوش وزأرت الآساد وقد ترك ما كان فيه من الراحة والمرح وما هكذا تعمل عقلاء الآدميين فافتح عيون بصيرتك وتأمل الوجود والموجودات وتصفح صحائف الاكوان وما فيها من أرقام العبر وسطور المواعظ وتدبر آيات ربك المسموعة والمنظورة لتعلم أن ما فى الوجود من موجود أخسر منك صفقة ولا أتعس منك حالا ولا أسوء منك مآلا وما فى الموجودات أغلظ منك قلباً ولا أقبح منك عملا ولا أضيع منك عقلا فان كل الحيوانات التى ليست تحاكيك في الشبه تسبح بحمد ربها في الغدو والآصال ولا همة لها الا ما خلقت لأجله من طلب القوت وأمر التناسل والعمل الذى سخرت وان الكثير ممن شابهوك فى الصورة من نوعك قد سلكوا طريق الاستسلام وساروا وراء الدليل حتى أدركوا مفاوز النجاة التى تجنبتها أنت ومن تشبه بك من الحائرين فالأولى لك أن تقف بنفسك موقف العبودية فى مقابلة خالقها [illegible] كما يقف الفقير امام الغنى والعاجز امام القادر والضعيف امام القوى

والدليـل امام العزيز ثم تقارنها بمخلوقات ربك التي هى بجانبها لاتساوى شيئا ثم ترسل رائد فكرك فى القرون الماضية والأمم الطاغية التى ماهلكت الابما عكفت عليه من الأعمال الطغيانية والأحوال الشهوانية الي غيرذلك من النصائح لنادانا لسان حاله قائلا

قالوا للجمل زمر قال لاشفة متلاصقة ولا أصابع منفرقة

بمعنى أن البصـيرة مطموسة والأفـكار مشتغلة بالشهوات (ومن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى وأضل سبيلا) ثم أن من الناس من هم الاحرار ولكنهم لايدعون الحرية وأولئك هم الرجال الذين ماملكتهم شهواتهم ولا اسرتهم اغراضهم وأولئك هم المؤمنون حقا وأولئك هم المفلحون .

وان من وصايا المدنية الاسلامية أن لا يتزيا المسلم بزى أقوام ماهم منه ولا هو منهم وأن لا يتشبه بهم فى شؤونهم الاعتيادية وما ذلك الا حفظا لكرامة دينه واحتراما للاصطلاحات التى اصطلحت عليها عقلاء الا قدمين من قومه الذين ما أسسوا مبانى اصطلاحاتهم القومية الاعلي قواعد الوفاق والمحبة وحسن المعاشرة وحفظ حرمة الجوار ومراعات المساواة بين المتخالطين واجلالا لأعمال الحق سبحانه وتعالي فانه جل شأنه خصص لكل أمة من الأمم شؤونا وأعمالا عادية تناسب مرتبتها الوجودية بين الأمم اذ النظام التكوينى من ضرورياته تميز الاشخاص والامم بعضها من بعض وذلك التميز يستدعى اختلاف الالوان والالسن والمزايا والشيم وكثير من الشؤون فكما أن الاشخاص لا تتشابه فكذلك هو الشأن فى الامم بدليل قوله تعالي (ومن آياته اختلاف ألسنتكم وألوانكم) وما كان ذلك الاختلاف الا له دواع وأسباب يقتضيها النظام الابداعي وان منها لقيام معركة الحياة على قدم وساق كما يشيراليه قوله تعالى (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد) الي آخر الآية

ذلك ليدفع كل ذي دين عن دينه وكل ذى عادة عن عادته ولتدافع الامم عن عوائدها واصطلاحاتها حتى لا تنحل روابط الاتحاد الاجتماعى الذى هو كالروح لجسم كل أمة ولكيلا تتصاغر نفوس ضعفاء الهمم وأدنياء الطباع فتهجر ما اصطلحت عليه عقلاء الاقدمين من أمتهم الي تقليد أمة أخرى فتسري سموم ذلك التقليد فى ذلك الجسم المتحدة أعضاؤه فتتلاشى قواه ويكون ذلك الدنيء المقلد فى أمته كالعضو المصاب بالأكلة الذى ان لم ينفصل عن باقى الاعضاء عم ضرره فأهلك الكل وذلك مما يوجب اضمحلال حال الأمم وانهدام قواعد مجدها بل ربما أدى الي محو اسمها ومرتبتها الوجودية من بين الامم ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تشبه بقوم فهو منهم

فلو أن دعاة الارشاد الطبيعى كانوا على شيء من العقل أو العلم النافع أو الحكمة الصحيحة أو الأدب المفيد لراعوا فى نصائحهم ثمرات الارشاد ونتائجه وبحثوا عن منافعه ومضاره حتى لا تهلك الامم بخزعبلات تمويهاتهم ولكنهم فقدوا تلك المزايا فقالوا بلا عقل ونصحوا بلا حكمة وعلموا بلا علم وأرشدوا بغير أدب استجلابا للمنافع الشخصية واعجابا بزخرف القول (والله لا يحب كل مختال فخور) وان من المخازى التي تخجل ذوى الأذواق السليمة وما شعر بها المرشدون انا نشاهد رجال المدنية الاوروباوية علي اختلاف مللهم ونحلهم وقد أقاموا فيما بيننا أعواماً عديدة وآماداً مديدة وما غيروا معالم عوائدهم ولا بدلوا زيهم الذى كانوا عليه قبل أن يكونوا معنا وما لذلك من سبب الا أن شهامتهم القومية وحماسهم الملي لا يسمح لهم بهجران عوائدهم ولا بطرح اصطلاحاتهم وان كانوا نزلاء أو غرباء كما أنهم ما عارضتهم عوارض ارشادات تضليليه تقف تمويهاتها بعقولهم مواقف الحيرة التى وقفتها أمتنا فكانت سبباً فى نزع الغيرة من قلوب الرجال وسلب الحياء من وجوه النساء وعلمت القوم حملقة حارس

الغنم وراء من تزيوا بزيهم وتومسة النمس تجاه من كان منهم ضعيفا حيث نرى الاخرين فى مرابض التقعنس والتبهنس على المجانين يضحكون وبهم يستهزؤون (وكان أمر الله قدراً مقدوراً)

إني أقـول مقـالة ضمنتها درر النصائح
ان السـفالة ان سرت فى معشر عشقوا القبائح
ومحاسـن الشرف الرفيـع مع الغـرور هى الفضائح
والمرشد الضـال الذي لايهتـدى هو شر ناصح
والدين معـراج العـلى وأخوالتقى فى الحشر رابح
واليـوم ان ضحك الشـقي تراه فى عقباه نائح
فارجـع لربك تائبـاً واضرع وقل يارب سامح

ومن أسوء حالا ممن لايهدي الا الي مايخالف طريق النجاة ولا يرشـد الا الى مايباعد بين الناس وبين الـكمالات الادبية ولا يدلي بهم الا الي ظلمات الفتنة التى تلهيهم عن منافع دينهم ودنياهم حتى أصبحنا لانرى للوجهاء من المتدينين ديناً الا زخرفة الاقوال وتحسين الملابس والاعجاب بالنفوس وتتبع عورات الناس والتلذذ بالغيبة وانتظار الاخبار اليومية لتـكون فـكاهتهم فى مجالسهم وكل منهم عن مغيبات البلايا المنتظرة فى غفلة تامة ولهو شديد وما كان مبلغهم من العلم الا ازدراء أئمـة الدين واهانة اتقياء المؤمنـين وهجران الاداب الـكمالية ونسـيان الموت وكفران النعم والتلاعب بالقرآن الحـكيم باتخاذهم منه براهينا على صحـة تمويهاتهم وكلما اشـتد غضب الله عليهم وألهاهم عن طريق الهدى وأبعدهم عن مهابط الرحمة وأشغلهم بدنياهم عن آخرتهم وفتح لهم أبواب الملاهى وسهل لهم أسباب القطيعة توهموا أنهم هم الذين تنورت قلوبهم وأنهم هم المهتدون وماهم والله الا فى عماء مهلك وفي ضلال بعيـد ولو أننا ناديناهم نداء الناصح الامين

أو الاخ الشفيق الذى أهاله سقوط أخيه الأعشى فى حفرة من الحفر ومابينه وبينها الا خطوات قليلة قائلين ياأيها الاخوان المفخمون وياسادة الوقت المعظمين تعالوا الي كلمة سواء بيننا وبينكم أن لانعمل الا أعمال العقلاء وأن لانتلبس الا بأحوال الأدباء وأن لانتبع الا نصائح الامناء وأن لانأخذ الدين الاعن الاتقياء وأن لانقتدى الا بأهل الخشية من العلماء وأن لانتجاهر بالفسوق وأن لانسلك بأبنائنا وبناتنا مسالك اللهو والعقوق فانه لاعقوق أتعبُ من هتك الأعراض ولا فسوق أصعب من متابعة الشهوات والاغراض فهلم ياأيها السادة الأزكياء لنزن أحوالنا بميزان العقل الراجح ونبحث فى نصائح الناصحين وارشادات المرشدين لنعلم أى واد من الوديان سلكوا بنا حتى اذا تحققنا أنهم أضلونا عن طريق الرشاد وسلكوا بنا سبيلا غير سبيل السداد انحرفنا عن مناهج مساعيهم المظلمة وأعرضنا عن نصائحهم المهلكة المؤلمة فانهم ماأوردونا الا موارد الخسران ولا أدلوا بنا الا إلى مهاوى القطيعة والحرمان

لقالوا مثل ماقالت مدين لشعيب عليه السلام فيما حكاه الله عنهم بقوله (قالوا ياشعيب مانفقه كثيراً مما تقول وانا لنراك فينا ضعيفا * ولولا رهطك لرجمناك وماأنت علينا بعزيز) أو كما قالت ثمود لصالح إذ قالوا له (وانا لفى شك مماتدعونا إليه مريب) ولو أننا استعنا بأرباب المظاهر من العلماء الاعلام أومن رجال القضاء الفخام أو من بقية رجال أهل العلم على إعلاء كلمة الحق ونشر الآداب الكمالية واظهار الفارق بين المدنيتين لنادى عليهم لسان الحال بمقال الاقدمين

قالوا للجمل زمر قال لاشفة متلاصقة ولا أصابع متفرقة

ذلك بأنهم لاتقوى تعينهم على العمل المبرور ولا إخلاص يسلك بهم سبيل السعى المشكور

الانتقاد

جاءت المدنية الاسلامية ناهية عن التلبس بخبائث الانتقاد والاعتراض

الذين هما من لوازم الازدراء والاحتقار فقال تبارك وتعالى (يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم) وماذلك الا لما علمه سبحانه وتعالى من عباده من أن هذين العملين لا يتلبس بهما الا أخس الناس طبعاً وأحقرهم عند الله منزلة وأقلهم فى مساومة العقلاء قيمة وان كان محترماً ومبجلا فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان شر الناس من يكرمه الناس اتقاء شره وهل يتعرض للاعتراض والانتقاد الا من أخذ بخنقه الاعجاب والغرور وحال الطيش بينه وبين التبصر فأصبح راضياً عن نفسه غير عالم بعيوبها وهل من جهل أضر على الانسان من جهله بنفسه وان كان عليما حكيما فقد يعلم العالم معلومات كثيرة فيكون علمه بها سبباً لغروره وافتتانه فيلهيه الغرور عن نفسه حتى يجهلها فيضطره الاعجاب بها والرضا عنها الى انزالها منزلة لا تستحقها فيغدوا ممقوتاعند العقلاء وعند الله سبحانه وتعالى وهنالك يكله الله سبحانه الى نفسه وشيطانه فلا يتمالك نفسه أن تتابع هواها وتزدرى من فوقها وتحتقر من كان دونها ومن كان هذا حاله لا يشتغل الا بتتبع عورات الناس واختلاق المعايب وتقبيح الحسن وتحسين القبيح اذا ماتلبس به لكيلا يعلم الناس انه مسيء كما هو حال مرشدى هذا الزمن الذين يقبحون للناس أعمال المتدينين وقد تمكن من قلوبهم داء الاعجاب المهلك الذى قعد بهم عن الوصول الي مدارك الفضلاء وأشغلهم عن متابعة الأدباء والامناء فأصبحوا لا حرفة لهم الا زخرفة التمويهات الزيغية وتحسين التضليلات الفلسفية التى وقفوا فى طريقها بشبان التلامذة من طلبة العلوم الشرعية والفنون السياسية موقفا حرجاً استقبلوا فيه ظلمات الزيغ وغياهب الشبه واستدبروا أنوار العلوم النافعة والحكم المفيدة وراء أولئك المرشدين الذين منهم من يدعي ان كتب الدين رديئة وأن الناقلين للدين لا عقول لهم وان التمسك بالدين تنطع وجمود الى غير قليل من الاقوال الخرافية التى

جلبت للامة غماً مديداً وحزناً لا تنقضى آماده الا اذا أصلح الله الأحوال وصحح الاعمال وأخذ بالنواصى الى ماتدرك به الآمال

وانى لأعجب من جرءة أولئك المتقولين وإقدامهم على أقوال ما قدر إبليس أن يتقولها لا بين يدى ربه ولا فى مواقف تضليله لانه لا يرضى لنفسه الخبيثة موقفاً يدركه فيه الخزى العاجل ولا يستطيع أن يكذب كذباً غير مقبول

ألا إنهم كلما هموا بتمويهات زيغية ليقولون ان الدين حق وأنه لكمال كله ثم هم يمدحون بالدين ويرفعون اعلام الدين وينادون بالشبان أن تمسكوا بالدين وعُضوا على الدين بالنواجز ولا تتبعوا الذين يصدونكم عن الدين حتى إذا مالت قلوب القوم الي الدين نادوهم أن لا تتبعوا المخرفين فتهلكوا وما أرادوا بالمخرفين الا رجال الدين وهناك يقف التلميذ السياسى أو طالب العلم الديني فى موقف الاسترشاد باهتاً مُتَلَفِّتا ليرى الدين أو يرى من رآى الدين فلا يرى إلا رجالا تجولوا طرقا متشعبة ليس فيها للنبيين قدم فينصرف من موقفه على أن لا دين وانما هى فلسفة طبيعية تطوف بصاحبها فى معالم الوجود بين العوالم العلوية والسفلية بلا خبير فى طرق متشعبة وكلما تخلص من أوحال طريق تورط أخري حتى يعود الى موقفه وما أحرز شيئا سوى اللسانة وسوء الادب مع ربه بين الموجودات التى كاد أن يعبدها من دون الله وما كان مثله معها الا كداخل مكان متسع الاطراف والاكناف بغير اذن وبلا دليل فصار يتخبط فى زوايا ذلك المكان الذى جهله ورَبّ المكان ساخط عليه ومُمْهِله حتى يصل الي مهوات هلاكه فيسقط كما سقط الذين من قبله حيث لا يبالى به الله فى أى واد هلك فقد روى بعض الصالحين أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم مناماً فسأله عن ابن سينا الى أين ذهب فقال له النبي عليه الصلاة والسلام عملت بيدي هكذ وهكذا فهوى فى النار وما كانت يد رسول الله صلي الله عليه وسلم الا سنة

وشريعته التي ماحملت ابن سينا الى طريق النجاة (والله لايحب المفسدين)

ولقد زعم أهل الارشادات المدنية أن أئمة الدين هموا الذين أضاعوا الدين وأن أهل التحقيق من الصوفية مخرفون وذلك زعم يكذبُ زاعمه بلامكذب لاننا لو سألناه أين هو الدين وأين أهله ومن الذين حفظ الله بهم الدين من الضياع ألفاً وثلاثمائة سنة لما أشار وقد أفحمه الحق الا الى من يطعن عليهم

ولو أن لأهل هذا الزمن عقولا نيرة وقلوباً مبصرة سليمة من أمراض الزيغ وعماية الجهالة لبحثوا عن الحقائق حتى علموا أن الدين ماهو من عمل العقول ولكنه وحي سماوى نزل به رئيس الملائكة المقربين على رسول الله صلى الله عليه وسلم فبينه للناس كما أمره ربه سبحانه وتعالي بياناً واضحاً وخاطبهم بخطاب لاتمجه الاسماع ولا تعيى عن حمله العقول فخاطب العامة بما تضمنته كتب الفقه من أحكام العبادات والمعاملات التى تناولتها رجال الدين تابعاً عن تابع بغاية الدقة والبحث وما كان اختلاف المجتهدين منهم الا وراء رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى كان يخفف على أشخاص ويشدد على آخرين لانه مابعث الا بالحنيفية السمحة فتبعه فى ذلك رجال الدين الذين عناهم الله سبحانه وتعالي بقوله لنبيه (قل هذه سبيلي ادعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين) وما كان اختلافهم الا رحمة عامة أخرجت الامة من حوزة التقليد المضر بالدين فان الذى يعلم ما كان فيه الخلاف فيتخير لنفسه مسربا وراء أحد المختلفين الذين سماهم الله دعاة اليه ما هو بمقلد ولكنه باحث عن طريق النجاة ومتابع لدعاتها وراء صاحب الشريعة ولكن الذين عموا عن الحق قد ارتابت قلوبهم فهم فى ريبهم يترددون

وما كان اختلاف أولئك الأئمة سبباً لانحطاط الدول الاسلامية كما يقول المبطلون الذين هم الأحق بأن ينادي عليهم أنهم هم المخرفون لان انحطاط الدول

لا يتأتى الا من إهمال الولاة وعدم استعدادهم لمقاومة أعدائهم بحشد الجنود واتخاذ العدد والآلات وكل ما تكلف به القواد من دواعي القوة وشدة البأس وما كان ذلك من عمل الفقهاء الذين كانوا بنقل الاحكام الدينية من السلف إلي الخلف فى كل زمن وهل وصل إلينا الدين الا من طرق ثلاث بينها صاحب ورد السحر بقوله اللهم صل على من شيد أركان الشريعة للعالمين وأوضح أفعال الطريقة للسائرين ورمز فى علوم الحقيقة للعارفين وذلك العمل هو الذي أشار إليه رسول الله صلي الله عليه وسلم بقوله أمرت أن أخاطب الناس على قدر عقولهم فخاطب العامة بما ذكرناه وخاطب الخاصة بما به علموا أن للدين لبا ينبغي العمل على ادراكه والوصول الي حقائقه وما هى الا الاداب التى دأب عليها أهل التصوف الذين زعم المضلون أنهم المخرفون (وسيعلمون أى الفريقين خير مقاماً وأحسن نديا)

ثم خاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم خواص الخواص بما يشير اليه قول الامام الاعظم كرم الله وجهه لو كشف عنى الغطاء ما ازددت يقيناً وبما كانت نهايته عند أول الخلفاء الراشدين ما عبر عنه بقوله العجز عن الادراك ادراك ورجال هذه الطوائف الثلاثة هم حملة الدين وورثة سيد المرسلين فالأولون ورثوه فى أقواله وأعماله وهموا الأئمة المجتهدون الذين أحسنوا المتابعة حرصاً علي الغاية التى ضربت أعناق الطالبين دون ادراكها وما هى الا حظوة المحبة المشار اليها بقوله تعالى لنبيه (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) فلما علموا أن محبة الله لعباده متوقفة علي متابعة رسوله أجهدوا نفوسهم فى إتقان تلك المتابعة ولذلك مات الامام أحمد بن حنبل ولم يأكل البطيخ لانه ما علم كيف كان يأكله المصطفى عليه الصلاة والسلام فما أكبرهم الرجال وما أحسن ما كانوا يعملون

والطبقة الثانية ورثوه صلى الله عليه وسلم فى الاعمال والاقوال والاحوال فكانوا كأنبياء بني اسرائيل وكانوا دعاة الى الدين من طريق الاداب الكمالية التى لا يقوى علي التحقق بها الا ذووا الاذواق السليمة والهمم العالية الذين هجروا المباحات حتى لا تتعلق قلوبهم بما يلهيهم عن ماهم فيه من مراقبة الانفاس خوفا من أن يفارقهم نفس من أنفاسهم وهم فى غفلة عن مطلوبهم الاعظم ومقصدهم الاهم

وأما رجال الطبقة العليا فانهم هم الذين اختطفتهم أيدى جذبات رحموته بعد مافازوا بتلك الوراثة فنالوا المقام الأرقى وتفانوا فى محبة من أحبهم فأحبوه فغابوا عن الاغيار واتحدت بينهم وبين محبوبهم الارادات والمرادات فكانوا كما قال أبو يزيد البسطامى رضى الله عنه العارف لا صفة له وحاله فى المحبة كحال أهل النار لا يموت فيها ولا يحي ولذلك قال قائل القوم

يحن الى الارفاق من كان قلبه مع الأين يحنوا للغذاء وللورد
ومن أين لي أين وانى كما ترى أعيش بلا قلب واسعى بلا قصد

هذه هى طوائف العلماء وهؤلاء هم رجال الدين فما الذى أضاعوه من الدين وما هو العيب الذى أحدثوه فى الدين وما كانوا فى كل زمن الا افراداً يعدون على الاصابع لا هم من حملة السيوف ولا من رجال الصفوف فهل يكون التحامل عليهم من أولئك المضلين إلا تضليلا يراد به صرف القلوب عن متابعتهم حتى تكون الناس بلا دين فيكونون فى جهنم معهم حيث يكون المجرمون وحتي لا يلومهم على الزيغ والزندقة لائم وحيث لا يعتريهم الخجل إذا علم الناس أن الدين غير ماهم عليه وانهم عن الدين لاهون

ولو أننا نادينا نبهاء الامة قائلين ان القوم انما يريدون قطع العلائق بينكم وبين رجال الدين حتى تساووهم فى الجهل بالدين وحتى لا تكون بينكم وبين

رسول الله صلى الله عليه وسلم رابطة ولا علامة مودّة تفقدون بسببها نصائحه وتعليماته وحتى لا تكونوا من خيار المؤمنين فتبغضوا أعداء رب العالمين وحتى تشملكم إشارة قوله تعالى (ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين * وانهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون) وما من سبيل سَوِيّ يشير اليه القرآن ولا صراط مستقيم الا سبيل المؤمنين الذى سلكه أفراد تلك الطوائف (فلا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل) لقالوا انما نتبع أكابر المفكرين الذين سلكوا بنا سبيل الرقى المدنى حتى أصبحنا متنورين

ولو أننا فاوضناهم الحديث واتخذنا عوامل اللجاج والالحاح وكلفناهم بأن يقفوا معنا موقف التعقل والتدبر وقلنالهم ان الرقى الأدبي والمادى لا يكون إلا بالآداب الكمالية ولا كمال الا فى الدين لقالوا ان المرشدين يقولون إن التمسك بالدين جمود وتنطع وان رجال الدين مجانين

فيا أيها العقلاء ويا أيها الفضلاء ويا شبان الوقت المنادى عليهم بأنهم رجال المستقبل مالنا لا يهمنا حالنا الذى نكون عليه عند انقضاء هذه الحياة القصيرة التى سمعنا أنها مذرعة لحياة أبديه لا يجني فيها أحد غير ما غرس فى هذه الحياة ولا يحصد فيها غير مازرع وليس الذرع هنا الا الاعمال (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره * ومن يعمل مثقال ذرّة شراً يره) فكأنها رؤيا والآخرة تأويلها وما كان هذا النبؤ الصادق من مقالات الافاكين ولا من تقولات الكذابين الذين لا يتبعون إلا الظن وما تهوي الانفس ولكنه قول إله كريم نزل به الروح الامين على من شهدت بكماله أقواله ودلت على صدق مقاله أعماله وأحواله أفلا نُعَدُّ من المجانين اذا نحن تساهلنا فى استكشاف هذا الخبر الهام الذي صدقهُ فحول القرون السابقة وعقلاء الازمان الماضية ومتى كان صادقا كانت مصيبتنا عظمي وعاقبتنا سيئة وكنا عند الموت كمن خر

من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق ومالنا لانحتاط لأنفسنا إن كنا في شك مريب من صدق القرآن وآياته لنكون كمؤمن آل فرعون إذ قال لقومه (أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم فان يك كاذبا فعليه كذبه وإن يك صادقا يصبكم بعض الذى يعدكم إن الله لا يهدى من هو مسرف كذاب) وما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده هو الذى جاء بهذا النبأ العظيم ولكنه نبأ جاءت به الرسل والانبياء وكل الكتب السماوية فما هى الحال التى تحملنا على تكذيب أمناء الله على أسراره الذين ثبت صدقهم وثبتت أمانتهم ثم نصدق أناسا يجادلون فى الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير

ثم وان كنا على يقين من هذا الخبر فما لنا لا نسلك السبيل التى سلكها المصدقون وقد علمنا أنها طريق كمال واستقامة لا تنهانا عن ملاذنا ولا عن تحصيل شهواتنا ولكنها تأمرنا بالاعتدال فى تناولها حتى لا نكون كالبهائم التى يهلكها الافراط فى الشهوات وكيلا نكون من الظالمين الذين فرطوا فى أداء ما يجب عليهم

ومالنا لا نبحث عن طريق الاعتدال التى تنازع فى وصفها وفى تعريفها طائفتان هما أقوى الطوائف فى مدارك النظر الفكري إدراكا وأقدرهم على اقامة البراهين وتصحيح الحجج وتقويم الادلة وما منهم من أحد الا وهو أقوى جذبا للقلوب القاسية من المغناطيس فهل يهتدى الباحث بينهما عن الحقائق الي كشف غمته الا بمطالعة مدونات رجال الطائفتين أو سماع أقوال الفريقين حتى اذا علم الغاية المقصودة لكل فريق منهما أجهد نفسه فى تطبيقها على الغاية التى جاء القرآن مرشداً الي العمل على ادراكها فتكون الغاية المطابقة لمرامى اشارات القرآن الحكيم هى التى يجب على المؤمنين التسارع اليها وتكون الطريق الموصلة اليها هى المتبعة هذا اذا كان الباحث من قوم يؤمنون بالله واليوم الآخر ومصدقا بما جاء به القرآن تصديقاً صادراً عن نور ايمانى . وأما اذا كان على حال آخر وكانت بغيته الوصول

الي طريق الـكمالات الأدبية من حيث هي مكارم أخلاق من تخلق بها كان مبجلا ومحترما وكان له نصيب من العقل الادراكي الذي به يدرك الفارق بين الضار والنافع فلينظر في أعمال كل طائفة وفي أقوالها وفيما كان عليه رؤساء الطائفتين من الاحوال وفي الطرايق المتبعة عند كل طائفة وفي أي الاعمال والاحوال كانت متابعة المرؤسين لرؤسائهم ثم ليتدبر وصايا شيوخ الطائفتين لتلامذتهم ثم ليبحث في شؤون التربية التي دأب عليها أهل كل طائفة حتى يعلم أي الطريقين أدعى الي معالم الآداب وأقرب الي معاهد الـكمالات وهنالك تفتضح أحوال قوم وتتضح فضائل اخرين ومتي تميزت الشؤون ظهر الحق وبطل ما كانوا يفترون وحرام على كل من أوتى نصيباً من العقل أن ينتصر لأحد المتنازعين أو يميل الي أحد المتباغضين من قبل أن يتحقق الظالم من المظلوم أو يعلم الفاضل من المفضول لان ذلك من عمل السفهاء الذين فقدوا سَجِيَّة الشهامة والادب

ومالنا أيها العقلاء لا نترك طريق الاعجاب والغرور لأهلها الهالكين من حيث لم يشعروا ونتجنب اخوان الخيلاء وحلفاء التفاخر الذين لا حظ لهم مما علموا إلا زخرفة الاقوال واتباع الاهواء والاعتماد على الظنون المهلكة ثم نقف علي رأس الطريق الأخرى لنرى مذاهب أهلها ومسالكهم ونسمع أقوالهم ونشاهد أحوالهم حتى إذا تحققنا أنهم لا ينطقون عن الهوى وأنهم لا يتلبسون بحال ممقوت تابعناهم وكنا لهم من الخادمين هذا كله لا يكون الا اذا صلحت الافكار وسلمت العقول وتنورت البصائر وتنبهت الفطن وتجدد الوجدان وتحسنت الاحساسات وتيقظت القلوب وبحث الناس عن الحقائق وخافوا عواقب التفريط والافراط وتخلصوا من طور الطفولية الذي من شأنه الاشتغال بما لا يفيد ومن ضرورياته استعمال العبثيات ثم حرموا علي أنفسهم حلق اللحا وأكرموها حتى كبرت ورأوا أنفسهم كبارا كأكابر الرجال فلم يجعلوا للمعاصي عليهم من سلطان

ثم قطعوا العلائق بينهم وبين باعة المشروبات الروحية التي هي عاهة العقول وسموم الافكار وآفة البحث والتدقيق وجاعلة الرجال صبيانا غير مميزين وصارفة النساء الى كل عمل شيطاني وشهوة هوائية

أما اذا بقي الامر على مانحن عليه وكنا كما كنا فما نحن بخارجين عن دائرة العجز المذموم المشار اليه بقول الاقدمين

قالوا للجمل زمر قال لاشفة متلاصقة ولا أصابع متفرقة

(اللهم ألهمنا الصواب وآتنا الحكمة وفصل الخطاب)

ليت الملاح وليت الراح قد جمعا   في جبهة الاسد أو في قبة الفلك

كيلا يقبل ذا حسن سوى أسد   ولا يفوز بكاسات سوى ملك

بنيت منعة الاعراض المصونة وحفظ حرمات الاشياء المحبوبة على الغيرة التي لولاها لتهكت المحارم ولما عوقب المجرمون بالجرائم ولذلك قال رسول الله صلي الله عليه وسلم ان الله سبحانه وتعالى غيور ومن غيرته حرم الفواحش فلذلك جئنا بهذين البيتين من كلام المتقدمين استشهاداً على أن محاسن الاحوال ومعالي الاعمال لاتحسن الا من أهلها وليعلم المطالع أن الغيرة من أشرف الشؤون البشرية وانها لتكون في غالب الحيوانات ذوات القوة والشأن ولكنها في الكمل من الرجال أكمل منها في كل حيوان ولقد تمدح بها رسول الله صلي الله عليه وسلم في قوله سعد غيور وأنا أغير منه والله أغير منا ونحن الآن لانتكلم على الغيرة العرفية المتداول ذكرها بين الناس لانها خاصة بحفظ الاعراض وصيانة ربات الجمال وهي التي تكون من الزوج على زوجته ومن الرجل على أخته أو ابنته ومن الشبان على أمهاتهم ومحارمهم ومن العاشق على معشوقته كما كانت من أهل القرون الماضية الذين يمثل أحوالهم فيها قول [illegible]

أغار عليك من نظري ومني   [illegible]

وما قصدنا هذه الغيرة هنا لعلمنا أن ذلك أمر تمجه أذواق كثير من الناس الذين حال بينهم وبين التحلي بمزاياه ارشاد العلماء الذين انتصبو التقويم قواعد العدل الشهوانى بين الرجال والنساء حتى لا يتفاضلا فى التمتع بأنواع اللذات الشهوانية من كل طريق يصل اليها الواصلون فأباحوا للنساء مجارات الرجال ومسابقتهم فى كل الشؤون التى كان الحياء مانعاً منها فثبت فى عقول الغانيات أن مراد المشرعين الذين تنبؤوا فى هذا المشروع ماهو الا هجران الجدران وتمزيق أستار الحياء والتلاعب بعقول الرجال حيث لا رادع ولا زاجر ولا دافع ولا مانع فما أبخس قيمة الجمال الآن وما أسوء حال الغانيات الحسان

لاحد الملوك

حكى أن ملكا من ملوك الأمم الماضية صعد يوماً علي معارج قصره حتى وصل الي أعلي مكان فيه وكان بجانبه قصر لأحد الوزراء فرأي فيه امرأة من أجمل نساء ذلك الزمن فولع بها ولوعاً أشغل باله ثم سأل عن ذلك القصر فقيل له انه لفلان الوزير فما زال الملك يحاول الوصول الى غرضه حتي أحدث لذلك الوزير حادثاً يدعوه للتغيب عن منزله زمناً طويلا فلما سافر الوزير بعث الملك لامرأته من يعلمها بوقت مجيئه ليؤدى واجباً بزيارة منزل الوزير فى مغيبه وقد كانت امرأة الوزير على يقين من محبة الملك لها عند مارآها فأدركت الغرض المقصود فأذنت له بالحضور بعد ما أعدت له مائدة فيها أطعمة ذات ألوان مختلفة وكلها من السمك فلما جاء الملك أراد أن تقابله مقابلة الاحباب فأرجأت ذلك حتى يتناول الغذاء فلما جلس على المائدة وأراد أن يتناول منها دخلت عليه فكان يسألها عن كل لون يقدم له من أى شئ صنع فتقول له من السمك حتى كانت النهاية وهو يتعجب من كثرة الالوان واتحاد المطعم فقال لها ولم ذلك قالت ليعلم مولانا الملك أن النساء وان اختلفت مناظرهن فانهن فى أمر الرجال على حال واحد فلما علم مقصدها عجب بها وازداد فيها حباً وعزم على أن يكون حاله

معها حال الرشيد مع جاريته حيث قال

يا ربة الحسن التي اضمرت هتكي ... أنت على كل حال لابد منك
فاما بذل وهو أليق بالهوى ... واما بعز وهو أليق بالملك

فلما تبين لتلك الغانية العفوفة مراد الملك وعلمت أنه لامانع يمنعه منها الا التحايل على قبول النصيحة بحال قوي التأثير قالت له أيها الملك الجليل أناما خرجت عن دائرة العبودية وهل أنا الا كاحدى جواريك وأحقر خدمك ولكنى أحب أن أعلم منزلتي من الحب عندك فان كنت لك محبوبة فأطعني فيما آمرك به ولا عار عليك فان سلطان المحبة أقوى من سلطانك وان لم يكن للمحبة عليك سلطان وكان المراد هو تنفيذ ماتدعوك اليه الشهوة فلا طاقة لى بمدافعتك عن كل ماتريد فقال الملك وهل يحملني على هذا العمل إلا شدة الحب الذى يذل الجبابرة فقالت إذاً فلا بد من الامر مني ومن الطاعة منك حتى اذا غلب سلطان المحبة سلطان الملك صفالك الامر وتمتعت بنيل ماتريد فقال الملك أمرك مطاع ورأيك متبع فقالت أشتهى أن تقف فى الطريق على مرآى منى ثم تسأل المارين صدقة على شرط أن لاتطلب الا أقل قيمة من أنواع ماضَربَتْهُ من العاملة ليتعامل به الناس فشق ذلك الطلب على الملك وعسر عليه ذلك الموقف الصعب وهمّ بالامتناع ولكنها غازلته وداعبته وخادعته حتى هان عليه الامر وقام من وقته يقدّم رِجلاً ويؤخر أخرى ويد العزة وأبهةُ الملك تجذبه للوراء وسلطان المحبة آخذ بمنخفه الي مواقف الذل والمسكنة حتى وقف ذلك الموقف المشؤوم تحت منافذ قصر الحبيب ولما علم الناس أن الملك وحده فى تلك الطريق اتخذوا لهم مسلكا غيرها وصار لا يرى أحداً يسأله حتى ساقت له المقادير شيخاً هرماً له فى المدينة حاجة وهو لا يعرف الملك وما رآى من يرشده الي المكان الذى قصده سواه فلما استرشده الطريق أرشده ثم لاطفه فى الكلام وجعل يسأله عن حال القرية التى جاء منها وعن

أهلها وعن الدراهم التي يتعاملون بها من أى نوع ثم طلب منه أن يريه إياها إن كان معه منها شيء فأراه ماهو أقل قيمة منها فتناوله ويده ترتعش وقلبه يضطرب وفرائصه ترتعد لهول ذلك الموقف ثم سهل على ذلك الشيخ فقد ماتناوله منه لانه لا قيمة له فتركه وانصرف وكان الشرط على خمس مرات هذه أولاهن فوقف زمنًا حتى مر أخر من الغرباء وفعل معه مافعل مع الذى قبله ولكن الامر كان أهون وكذا الثالث والرابع والخامس ولكن حاله مع الأخير كان كحال السائل مع المتصدق سواء بسواء فلما تم الشرط صعد الي محبوبته مسروراً متوهمًا أنها تطيعه كما أطاعها فقالت له أيها الملك الجليل كيف كان حالك عند ماسألت أول المارين بك وحال ماتناولت منه الصدقة قال كان الموت أهون من ذلك الحال المدهش قالت وفى الثانيـة قال أخف ضرراً قالت وفى الثالثـة قال شعرت بأنى لو شاركت أرباب هذه الحرفة فى عملهم لكنت أكثرهم كسبًا قالت وفى الرابعة قال كنت كأنى ربيت علي هذا العمل قالت وفى الخامسة قال وجدت فى نفسى ارتياحاً له ومحبة قالت ياأيها الملك الجليل أنا ماتجرأت على هذا الطلب الذى لا يتجارى عليه جرىء الا ليعلم مولانا الملك أن حال النساء فيما دعوتنى إليه ماهو إلا كحالك فى العمل الذي دعوتك اليه فانى يامولاى الآن أختار الموت دون ماتريده منى حتى اذا ماوقع هان الامر بعد ذلك على شيئا فشيئا فلا تمضى بعض أيام الا وأنا أشتهى الشبان وأناوش الخدّام وأجارى الرجال فى رغباتهم وأسابق العاهرات الى مواطن الفجور وما للنساء من شغل يشغلهن عن شهوات البطون والفروج الا الحياء والخوف وان للنساء لقلوب كبيرة لاتخاف عقابا ولا تخشى عتابا متى استرسلن فى شهواتهن وفيما تميل اليه قلوبهن وبهذا العمل المعيب والحال الشائن يكون وزيرك ديوثا وتكون امرأته عاهرة وما لذلك من سبب الا محبة الملك لامرأة الوزير وانى على يقين من أن شهامة الملك

لاتقبل ذلك العمل ولا ترضاه فتفكر الملك طويلا ثم قام على قدميه إجلالا لنصائح تلك المفوفة الطاهرة وقد أخذ منه العجب مأخذا عظيما لما علمه من محبوبته من العفاف والعقل وحسن التدبير ولطف التحايل على المدافعة بالتي هي أحسن فأدّى لها واجبات التشكر وغمرها بنعمه وجزيل عطاياه

فأين حال هذه المصونة من حال غانياتنا الآن وأين طهارتها وطهارة أعمالها من خبائث ربات الجمال عند مواجهة وجهاء الرجال وأين ارشادها الذى أسسته على قرار مكين من العقل وحسن التفكر والنظر فى العواقب من إرشاد المشرعين الذين يدعون علم مالم يعلموا وهل تزايدت الشرور واتسعت أبواب الفجور وتهتكت الأعراض المصونة الا بعد إباحة التبرج للنساء وارشاد الرجال الي الاعمال التي تميت المروءة وتقضى على الغيرة وقد زينوا للناس ذلك بقولهم ان للنساء حق المطالبة بالحرية ظانين أنهم انما أحسنوا الي ذلك النوع اللطيف كما يقولون بما أباحوه له من مجارات الرجال وقد كان محروما مما يعملونه من حل المعضلات وفك المشكلات وقد غاب عن أولئك العلماء أن الله سبحانه وتعالى ماخلق هذا النوع على ماهو عليه من الرقة واللين ونعومة الجسم وجعله لطيفا كما قالوا الا ليكون زينة محبوبة تميل اليها قلوب الرجال ميلا طبيعيا وما جعل للرجال عليهن درجة الا منعا للفتنة التي تذهب بعفة الرجال وصيانة النساء ولكن العلماء الذين لايعلمون الا ظاهرا من القول ماشرعوا لهن هذا التشريع الاطمعا في الجزاء الآجل وما كان الله ليضيع عملهم ويحرمهم جزاء ماصنعوا فان من سنّ سنة فله جزاؤها وجزاء من عمل بها الى يوم القيامة سيئة كانت تلك السنة أو حسنة فلا ندرى مالهم عند الله من الجزاء فى مقابلة ذلك التشريع وانى لاأرى عملا مدنيا أرقى ولا أكمل فى شرعة التمدين من تسهيل المواصلات بين العذاري والغانيات وبين الشبان المغازلين من طريق الإباحة التي جاء بها

العلم الشهوانى والارشاد الشيطانى الذى أزال كثيرا من آلام الحسرات التى كانت تخالط قلب كل خادم محروم ومشتاق قانط ومحب حائر وجار مغرم يسوءه احتجاب زوجة جاره أو ابنته وتاجر ولوع لا يستطيع مفارقة حانوته الا عند الغروب وأعزب لا قدرة له على الزواج أو لا يليق به أن يخطب من عشقته من بنات الاكابر

فليعش أستاذنا العالم العصري الذى أذهب غمة الخباء وأوجد مكانها مسرات التهتك وليحي التنور المدنى الذى أودع في قلوب ذوات الاشناب المبرومة والنفوس العالية رحمة حنان على من ذكرناهم من أولى الإربة ونزع من قلوبهم حمية الغيرة التى كانت تؤلم نفوس العشاق حين ما كان للرجال دين وآداب كمالية وهى التي أصبح التمسك بها يُعدُّ فى نظر السفهاء تنطعا وجمودا فما أرق هذه الاحساسات التشريعية التى علمت الغوانى رقة العواطف والخضوع فى القول والخناثة فى الطباع فليقم كل شاب شهوانى بواجب التشكر لأولئك المشرعين الذين كانوا سببا فى تفلته من قيود الاداب الكمالية والذين فتحوا له فى عصر المدنية كل باب من أبواب النقائص العصرية كان مغلوقا

وإنا وان كنا أضربنا عن الكلام على الغيرة من هذه الوجهة احتراماً لآراء أولئك المشرعين ولكن من طريق الوجهة الأدبية والنصائح الدينية التى ربما صادفت فى مستقبل الزمن رجالا لا كرجالنا اليوم نقول كلمة للشبان وكلمة للرجال لعل الله سبحانه وتعالى أن لا يحرمنا ثواب هاتين الكلمتين المفيدتين فنقول

خطاب الى الامة

ياشبان الوقت ان لكم لمستقبل لا تعلمون عواقبه وذلك المستقبل منه ماهو زمن عاجل ومنه ما هو أمد مديد آجل فأما العاجل فايام حياتكم القصيرة التى تمر بكم مر السحاب أو كرور الرياح بما تحمله وما منكم من أحد الا وهو محتاج الى الاقتصاد فى المعيشة اتقاء مايعرض له فى مستقبل حياته من الامراض

أو البلايا التي تذهب بما عنده من المال والقوى وان لكل منكم من المحارم مايغار عليه وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من زنى زنى به ولو فى جدار داره وقد تحققنا صدق مقاله عليه الصلاة والسلام من طريق المشاهدات العيانية فليقنع كل منكم بما عنده ومن كان أعزبا فطريق التزوج الآن أهون الطرق وأسهلها سلوكا وأما المستقبل الآجل فما هو الا مابعد الموت وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر) وما ذلك الا لان الكافر فيها مطلوق السراح يمرح وراء شهواته وأغراضه الهوائية كما يمرح أحدكم وراء النسوة فى الاسواق حيث يكون المؤمن الحق مكبلا بقيود من الآداب الكمالية التي تمنعه من عمل المجانين وتحول بينه وبين متابعة الشياطين حتى اذا جاء أجل كل منهما تخلص المؤمن من سجن الآداب الى حيث تذهب الأدباء المطهرون في فضاء الأمن ونعيم التكريم وأما الآخر فيغدوا رهين حسراته وحبيس أوزاره وشهواته الي حيث يضعه العدل المعبر عنه بقوله تعالى (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره) وهنا لك لافرق بين المسلم الذي لم يتقيد بقيود الآداب الدينية وبين الكافر الا كلمة التوحيد التي ربما حال بينه وبينها عند الموت عارض إغواء أو ذهول مرض والمرؤ يموت على ما عاش عليه ويبعث على مامات عليه وقل ان يسلم عند الموت من الكفر من تعود العصيان فان المعاصى بريد الكفر فاتقوا الله فى أنفسكم الضعيفة وفى محارمكم وأعراضكم ولا يغرنكم الامهال والحلم فان الله شديد العقاب

ويا أيها الرجال الفضلاء الذين اذا نسب اليهم قليل من النقائض غضبوا لا تلقوا بأبنائكم وبناتكم الى التهلكة ولا تسلكوا بهم سبيلا غير سبيل المؤمنين فانهم فى ضمانكم وأنتم المسؤولون عنهم بين يدى الله تعالى وان لكم لنصيبا من أعمالهم فان أحسنوا فلكم ولهم وان أساؤا فعليكم وعليهم ولا خير فى حضارة

تعقبها مرارة وفى نعيم يعقبه عذاب أليم وإن الايام التى مرت بمن قبلكم من القرون هى التى تمر بكم والمقابر التى رحلوا اليها هى التى أنتم اليها راحلون فتمسكوا بالاحوط من أحوالكم وتخلصوا من ورطات أوحالكم ومن كان منكم ذا زوجة حسناء أو أخت ذات جمال أو أم مليحة أو ابنة تشتهى فلا يتركها مهملا ان كان من أهل الهمم والشهامة فان الذي لايحافظ على صيانة عرضه لاهمة له ولا شهامة ولايحملنكم حسن الظن بعلماء هذه المشروعات الشهوانية على أن تبيحوا للحسان مخالطة الرجال ولا ان تمكنوهن من المشى فى الاسواق فانها مجامع الفساق ومراتع الفجار وهل تجعل جمال وجهها وزينة ملابسها مسرحا لانظار أولى الإربة وملعبا لافكارهم الا ناقصة العقل والدين سيما فى زمننا هذا الذى هو زمن الفسوق والعقوق وزمن علامات القيامة التي منها ما أشار اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله ليأتيني على أمتى ما أتى على بني اسرائيل حذو النعل بالنعل حتى ان كان منهم من أتى أمه علانية لكان فى أمتى من يصنع ذلك

وانكم لتعلمون أن القلوب مواطن الشهوات ومساكن الاميال ومامن حيوان من بعوضة فما فوقها الا وله قلب يميل الى مايلائم طباع نوعه من الشهوات كما قال القائل * ومطلق الانثى تحن للذكر * واحكم على العكس بحكم الطرد وهل للنوع البشرى من شئ أشهى من ملامسة الذكر للانثى وهل من حال أدعى لتهييج الشهوة من تحلك الرجال فى النساء من طريق المكالمه أو الملامسة أو تردد النظر وهل ملك أحد من الناس شهوته الا نبي معصوم أو ولي محفوظ وهل يملك الولى شهوته الا بعد جهاد شديد ومعانات علاج نفسانى من جوع وعطش ومكوث فى خلوات يقصد به التحامى من كل مايجلب للقلوب الاعراض الشهوانية والاغراض الهوائية وهل يكون حال الرجل الذي يطعم

ابنته من كل مايشتهى من الطعام ويناولها لذيذ الشراب ويلبسها أحسن الملابس ثم يسهل لها أسباب التفكر فى شؤون الرجال مع النساء بمطالعة الروايات الغرامية فضلا عما تسمعه فى غالب أوقاتها من الغانيات اللاتى تعودن المجون وأصبن بما خفى عليهن من ضروب الجنون ثم هو يسخر لها ماشطة لصقالة الشعر وتحسين الملابس لتكون أبهج من كل فتاة تشتهى حتى اذا امتلأ صدره الرحب بها إعجابا دعاها لتكون معه اذا هو جالس نظراءه فاذا طرأ على فكرها طارئ يوجب الخروج نادى خادمه الجميل ليرافق سيدته حيث شاءت ذهابا وإيابا الا كحال صاحب الوليمة الذي يجهد نفسه فى استحضار كل مايشتهى لكل متناول حيث لا يرجوا فائدة ولا ينتظر منفعة سوى قول الآكليني هذا طعام حسن وشراب يشتهى وربما كان فيهم المادح والقادح وانا لنعلم علم اليقين أن الغيرة قد قبرت هى والشهامة فى لحد الحضارة والحرية وما كان لنا أن نحيي الموتى الا باذن الله فلنترك هذا المشروع لعلمائه ليتمموا تعليماتهم وليكتبوا فيه ماشاؤا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون

وإنا لو نادينا فى الناس بما أمرهم به الله سبحانه وتعالي من حفظ المحارم وصيانة الاعراض وامساك النسوة فى البيوت وبمانهاهم عنه من زينة التبرج لصمت آذانهم ولتحولت عنا أبصارهم ولمقتتنا قلوبهم لأن حالهم فى العجز عن مقاومة النساء وانزالهن منزلتهن يطابق مثل الاقدمين

قالوا للجمل زمر قال لا شفة متلاصقة ولا أصابع متفرقة

ذلك بأنهم لا علم لهم بالآداب الكمالية ولا خبرة لهم بسنة المشرعين وحماته المرشدين وكان الله بعباده خبيراً بصيراً

فلنتكلم على الغيرة من حيث هى منعة أدبية وحمية دينية وحلية ايمانية أودعها الله سبحانه وتعالي قلوب المتقين من عباده لتكون حاجزا بين الحق

والباطل ناصرة للرشد على الغيّ باعثة للعقلاء على معانقة الآداب الكمالية حاثة على استعمال العدل والاعتدال فى كل مايعمل وما يقال وما يتلبس به من الشؤون البشرية التي اقتضت حكمة الحكيم الخبير جل شأنه وتقدمت أسماؤه أن يبين للانسان ماينبغي تناوله منها وما يجب تجنبه حتى يكون ممتازا عن باقي الحيوانات المشار اليها بقوله تعالى (وما من دابة فى الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم) فيكون أهلا للتكريم وتلقي الاسرار عن عالم الخفيات فنقول

جاءت المدنية الاسلامية التي كانت آخر التعليمات الالهية للنوع البشرى ناهية الانسان من حيث هو مؤمن بآيات الله وكتبه ورسله أن يدعى علم مالم يعلم لان ذلك ضرب من ضروب الكذب الذى اقتضت غيرة الله سبحانه وتعالى أن لا يسكن هو والايمان فى قلب واحد فقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم هل يزنى المؤمن قال قد يكون قيل وهل يسرق المؤمن قال قد يكون قيل وهل يكذب المؤمن قال لا فلذلك حرمت المدنية الاسلامية على المرشدين أن يدعوا علم مالم يعلموا لكيلا يتبعهم الجاهلون فيقعوا فى مهواة النهى من قوله تعالى (ولا تقف ماليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا) ثم نادت تلك المدنية فيمن تمدينوا بها بقوله تعالى (ولا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقي) لكيلا تكون تزكية النفوس التي لم يزكها الله سبحانه وتعالي سببا فى وقوع العامة فى مصارع الاقتداء بمن لا يجوز الاقتداء بهم كما هو واقع الان وما كان ذلك النهى من الله سبحانه وتعالى الا رحمة بالبسطاء من عباده الذين اذا قيل لهم أنتم الناجون وكانوا فساقا فرحوا وأصبحوا فى طغيانهم يعمهون واذا وصف لهم زنديق بانه صديق احتقروا دونه كل عالم وكل تقي واذا أرشدهم من لا يهتدي الى الرشد سبيلا الى عمل لا خير فيه توهموه صدقة جارية وتجارة رابحة كما يرشد باعة الكلام بعض العامة الي أعمال هي فى

نظرهم خيرية لظنهم انها من الصدقات التي تربوا عند الله وما هي الا فتنة في الدين ومفسدة في الدنيا وما نتيجتها الا مفهوم قوله تعالي (وقدمنا الي ماعملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا) ولا حاجة لنا بايضاح الأعمال وافتضاح الاحوال فان المنفق الذى اذا دُعِيَ الى بذل الكثير من ماله بادر بالاجابة مع علمه بان الفائدة موهومة لامحققة ثم اذا سئل القليل سارع الي المنع مع علمه باحتياج السائل وأنه لوصدق السائل لهلك المسؤول لا يجهل انه انما أنفق ماله رآء الناس وانه انما كان تابعا لهواه وذلك ليس من الاحسان ولا من الصدقة ولا من المنفعة في شئ كما انه بما أعقبه ذلك العمل من الندم الذي لايخفيه الا المكابرة لايجهل ان هذه الحسرة في جانب الحسرة التي يعانيها عند وزن الاعمال وتلاوة الصحف يوم القيامة لاتساوى شيأ كما انه لايجهل انه مامنع القليل من ماله مع احتاج السائل اليه الا طاعة للشيطان ومخالفة للرحمن وتشبيتا للشح ومحافظة على الحرص ومن كان هذا حاله قل أن يسلم من العقوبة يوم تنشر الدواوين وتنصب الموازين ويرى كل عامل عمله فما كان لله كان أجره على الله وكان عامله مسرورا بما عمل راجيا رضوان ربه موقنا بحسن الجزاء وما كان لغير الله كان حسرة على عامله وكان ماناله من الخزى والخجل من ربه أشد من كل عقوبة تصيب المجرمين فى دنياهم فقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان الحفظة ليوقفون بين يد الله تعالي يوم القيامة فيشهدون للعبد بالعمل الصالح فيقول الله تبارك وتعالي لهم أنتم الحفظة على عمل عبدى وأنا الرقيب علي ما فى قلبه انه لم يردنى بهذا العمل وأراد به غيري فعليه لعنتى وقال صلى الله عليه وسلم ان الله اذا كان يوم القيامة ينزل الي العباد ليقضى بينهم وكل أمة جاثية فاول من يدعى به رجل جمع القرآن ورجل قتل فى سبيل الله ورجل كثير المال فيقول الله للقارئ ألم أعلمك ما أنزلته على رسولي قال بلي يارب قال فماذا عملت فيما علمت فيقول كنت أقوم به آناء

الليل وأطراف النهار فيقول الله له كذبت وتقول الملائكة كذبت ويقول الله له انما قرأت ليقال فلان قاريء وقد قيل ويؤتى بصاحب المال فيقول الله له ألم أوسع عليك حتى لم أدعك تحتاج الي أحد قال بلى يارب قال فماذا عملت فيما آتيتك قال كنت أصل الرحم وأتصدق فيقول الله له كذبت وتقول الملائكة له كذبت ويقول الله له بل أردت أن يقال فلان جواد فقيل ذلك ويؤتى بالرجل الذي قتل فى سبيل الله فيقول الله له فيم ذا قتلت فيقول أمرت بالجهاد فى سبيلك فقاتلت حتى قتلت فيقول الله له كذبت وتقول له الملائكة كذبت ويقول الله له انما أردت أن يقال فلان جريء فقد قيل ثم ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ركبة أبي هريرة وقال ياأبا هريرة هؤلاء الثلاثة أول من تسعر بهم النار يوم القيامة فكان أبو هريرة اذا حدث بهذا الحديث يغشى عليه ثم يتلوا قوله تعالي (فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحاولا يشرك بعبادة ربه أحدا) فلو أن أهل الارشاد الذين زكوا أنفسهم وزكاهم الكثيرون من الناس علموا مواقع الاعمال وكيف يكون العمل المقبول لما أرشدوا الناس الي ماننيجته فى الدنيا الخسارة وفى الآخرة الندامة ولو أن الناس علموا أنهم يدعون علم مالم يعلموا لما ضلوا وراءهم فى ظلمات الجهل وعمايه الاعجاب الذى جعل كل مغرور من أهل هذا الزمن يدعي علم مالم يعلم حتى هلك أكثر الناس وهم لا يشعرون

فياأيها العقلاء رحمنى الله واياكم رحمة واسعة وهدانا الي سواء السبيل انا قد أصبحنا فى زمن مافيه من واعظ ولا موعوظ ولا ناصح ولا منصوح ولا تابع ولا متبوع ولا عالم ولا متعلم الا ويدعى أنه مهذب ومتنور ولا نرى لكم من حق فى اهمال هذا الامر الهام الذى أوجب فساد الأخلاق وأدى الي عدم انقياد الضال منكم للمهتدى وصرف الكل عن آداب دينهم الكمالية فهل من غيرة على هذين الوصفين الشريفين تلجئ أهل الوجاهة والجاه منكم الي

ايقاف أهل الدعاوى الباطلة عند حدودهم حتى يزول هذا الالتباس الذي أوقع الشك والارتياب فى قلوب العامة حتى فقدوا التمييز بين الكمال والنقص وبين الأدب والوقاحة وبين مايرضى الله ومايسخطه لظنهم أن المتكلمين من أهل الارشاد جميعا مهذبون ومتنورون وقد جهلوا ماهو التهذيب وما هو التنور ولو انهم علموا ماحقيقة التهذيب وماحقيقة التنور لما اتبع الغاوون بعضهم بعضا ولا اقتدى كل ضال بمن هو أضل منه سبيلا ولما ادعى كل معجب بنفسه أنه جاوز مراتب الرسل رقيا ولما هلك كثير من أهل الايمان لحسن ظنهم بأولئك الضلال فهل يسعنا الآن إلا الوقوف فى مواقف البيان والايضاح لتعريف هذين الوصفين بطريق تفهمها العامة ثم نرتضى الخصم حكما فى تلك المواقف حتى اذا تبين للناس حقيقة التنور والتهذيب ميزوا الضال من المهتدى والمرشد من المغوى وخجل المدعي الذى لادليل معه ولا برهان وبذلك نكون قد نصرنا الحق على الباطل والمتدين على المتمدين وأهل الكمالات الادبية على أهل النقائص المفتونين فنقول

أيها الناس ان للسفلة من العوام أخلاقا ولعامة الناس أخلاقا وللخاصة أخلاقا ولخاصة الخاصه أخلاقا فخاصة الخاصة هموا الرسل والأنبياء الذين عصمهم الله من الخطأ والخطل ومن الغلط فى العلم وفى العمل وأولئك هموا الذين قرن الله ذكرهم بذكره في آية التنزيه بقوله (سبحان ربك رب العزة عما يصفون * وسلام على المرسلين * والحمد لله رب العالمين) فكانت نهاية ماوصلوا اليه من التهذيب هو مفهوم قوله تعالي لخاتم أنبيائه ورسله (وانك لعلى خلق عظيم) ولا سبيل الي وصف هذه الطائفة بالتنور لان الله سبحانه وتعالى وصفهم بأنهم نور ومن كان هو النور لايوصف بأنه متنور

وأما الخاصة فهم الذين حال الحفظ الالهى بين قلوبهم وبين ماعليه العامة من الاشتغال بالشهوات وتحصيل الاغراض الهوائية ومحبة مازينه الله لعباده

مما هو مذكور في قوله تعالى (زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومه والانعام والحرث) فلما لم تتعلق قلوبهم بما يماثل ذلك ولم تشغلهم أموالهم ولا أولادهم عن ذكر الله واعتزلوا الناس واختلوا بربهم حتى حازوا وصف التخلي أكرمهم الحق سبحانه وتعالى بمزايا التحلي فجمل الله سبحانه وتعالى أحوالهم واستخلصهم لخدمته ونور قلوبهم بأنوار الهداية والتوفيق فكان حالهم في التهذيب هو ما أشار اليه الحق سبحانه وتعالي بقوله (إن الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذاهم مبصرون) وأولئك هم الذين لم يجعل الله للشيطان عليهم سبيلا وهم الذين عناهم بقوله للشيطان (إن عبادى ليس لك عليهم سلطان) وكان كل منهم نوره وتهذيبه بقدر ما أوتى من الحكمة والأدب (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذوا الفضل العظيم

وأما العامة فهم الذين دارت عليهم رحى أعمال الحياة الدنيا وكانوا مصادر شؤونها ومراسح ألعابها ومناخ مضارها ومنافعها ومسارح مسراتها وأحزانها ومفاتيح شرورها ومواقع سهام بلاياها ومصائبها وهم فرسان ميادين التنافس في تحصيل زخارفها الزائلة وزينتها العاطلة وأولئك هم الذين تنقص الايام والليالي آجالهم وهم لاهون وتجرى بهم الاعوام الى مراقد قبورهم وهم نائمون وتتخطفهم المنايا متعاقبين وهم لاعبون وتناديهم العبر والمواعظ وهم لا يسمعون ولا يبصرون ويرون ماوقع بالقرون من قبلهم وما نزل بابائهم ولكن لا يفقهون والله سبحانه وتعالى أعلم بما لهم وماهم اليه صائرون اذاهم وصلوا الي الغاية المفهومة من قوله تعالي ياأيها الانسان إنك كادح الى ربك كدحاً فملاقيه) اللهم ارحم ضعفاء عبيدك الذين استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكرك وولاهم غيرك وألهاهم عن ذكر الموت وحسرات الفوت وأغفلهم عن وحشة القبور وهول النشور وكربة الخجل

والخزى عند العرض عليك اللهم ان عبادك أصبحوا لا ناصر لهم من الشيطان ولا معين وقد اختلس لعنه الله من العلماء أسلحتهم وسلب من ذوى العقول عقولهم واتخذ الاكل العوبة لجنوده المضلين فهم لايميزون المغوين من المرشدين عفواً يارحمن صفحاً يامحسان يابديع السموات والارض ياذا الجلال والاكرام

وأما السفلة من الناس فهم الذين لم يفلحوا فى السير وراء الخاصة ولم ينجحوا فى أعمال العامة وما سلمت الناس من أيديهم ولا من ألسنتهم وما سلكوا الا سبيل السيآت ولا قرعوا الا أبواب الملاهى

فأى فرقة من هؤلاء الفرق الاربع يسلم العقل نسبة التهذيب الى رجالها وهل يشك عاقل فى أن الفرقة الاولي هى الأولى بهذه النسبة وهذا الوصف الشريف وربما كانت نسبة التهذيب والتنور لمن أحسن متابعتهم من الفرقة الثانية لاضرر فيها لان التابع يشرف بشرف المتبوع وأما السفله فلا سبيل الى ذكر هذين الوصفين إذا ماذكروا فان الطهارات لاتوضع بجانب القذورات

وإنا إن أردنا من طريق التساهل والتسامح أن ننسب الوصفين أو أحدهما لأحد من العامة فلا تكون تلك النسبة إلا مجازية وقلما أن تنطبق الاعلى أعلى طبقات العامة كالملوك العادلين والعلماء العاملين الذين ماوصلت بهم مدارك هممهم الي منازل الابرار ولا الي درجات المقربين

وذلك لان المهذب هو الذى لايتلبس فى سره ولا فى علانيته بحال يستحى من اطلاع العقلاء عليه ولا يعمل عملا لايرفعه عند الله درجة ولا يقول قولا غير مفيد لسامعه فائدة فى دينه ولا يضمر لعدوه سوءا إذا سالمه ولا يتخلق إلا بكل خلق جميل

والمتنور هو الذى لاتفوته فى جميع شؤنه دقائق الآداب ولا تخفى عليه فى معاملة ربه رقائق الاشارات والى التنور الاشارة بقوله تعالى (أفمن جعلنا

له نورا يمشي به فى الناس كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها) ثم قال جل شأنه بعد ذلك وكذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون) يعنى فظنوا أنهم متنورون ولذلك أنكرنا على الذين زعموا التنور والتهذيب من أهل هـذا الزمن دعواهم ثم طالبناهم بالبرهان وارتضينا الخصم منهم حكما حتى يزول الالتباس عن عقول الناس فنقول والله يقول ويهدى السبيل

الاهل يقال لمن لم يتمالك نفسه اذا أغضبه من هو دونه مهذب بل ربما تباهى بغضبه ليقال هذا قوى وقادر كلا والله ماهو بمهذب الا فى نظر العوام لان هذا العمل ضرب من ضروب الحماقة وهى لاتطرق ساحة المهذبين

عمـل الحماقة آفـة التهـذيب   هل يستوى أسد الاسود بذيب
إن المهـذب لايغـير عقـله   عمـل ولا قول لغـير مصيب
كالاسـد لاتهتز في أقفـاصهـا   من لهو مهـزار ودب دبيب

الاهل يقال لمن إذا أحب مـدح من لايستحق المـدح وإذا أبغض ذم من لايستحق الذم مهذب كلا والله ماهو بمهذب الا فى نظر من لا يدرى ماهو التهذيب لان ذلك من عمـل الشعراء الذين هم فى كل واد يهيمون والذين هم يقولون مالا يفعلون

الاهل يقال لمن كلما خفيت عليه عيوبه أعجبته نفسه وتتبع عورات الناس ونصب نفسه ميزانا مرجحا لاحوال الناس بعضها عن بعض مهذب كلا والله ماهو بمهذب الا فى نظر من ماثله من السفهاء لان ذلك عمل ذوى الاعجاب والغرور

الاهل يقال لمن تعود الطعن على أئمة القرون الماضية وما عاصرهم ولا عاشرهم وقد كان فى زمانهم من هو أشد منه زكاء وفطنة وما عابهم وقد اعترف لهم بالفضل ومحاسن الاعمال الكثيرون من فضلاء الرجال الذين لو عاصرهم لكان خادم نعالهم مهذب كلا والله ماهو بمهذب الا فى نظر من يرى أن الفضل

هو الانكار على الفضلاء وذلك من عمل المجرمين

الاهل يقال لمن تعود الغيبة وجري على لسانه السب بسبب وبلا سبب مهذب كلا والله ماهو بمهذب الا فى نظر السبابين واللاعنين الذين ليسوا بمؤمنين لان ذلك من عمل سفهاء العوام

الاهل يقال لمن له قدرة على الاقتران ثم هو يصاحب فى مضاجعه أجنبية زانية أو مشركة بلا مسوغ شرعي مهذب كلا والله ماهو بمهذب الا فى نظر الزناة لان هذا من عمل الذين هم كالانعام بل هم أضل والذين لا يفقهون مزايا الاقتران والتناسل والذين لا يتناهون عما حرم الله

الاهل يقال لمن ينفق أمواله فى وجوه الاسراف حتى اذا سئل معونة أو صدقة تعاصى ثم اذا أنفق لا ينفق الا وهو كاره مهذب كلا والله ماهو بمهذب الا فى نظر الاشحاء والبخلاء المشار اليهم بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم البخيل بعيد من الله بعيد من الملائكة بعيد من الناس بعيد من الجنة قريب من النار وأولئك هم الذين عناهم القرآن بقوله (ان المبذرين كانوا إخوان الشياطين)

الاهل يقال لمن إذا خالفه خادمه مرة واحدة طرده أو ضربه وغضب عليه ثم هو يخالف خالقه فى جميع شؤونه فى كل يوم مايزيد عن المئة مرة ولا يرجع على نفسه بالملام مهذب كلا والله ماهو بمهذب إلا فى نظر أهل الطغيان الذين يعبدون أهواءهم من دون الله لان ذلك من عمل المجانين الذين غلبت أهواءهم عقولهم ولعبت بهم شياطينهم

الاهل يقال لمن اذا قيل له ماهى الحكمة فى حلق لحيتك وما هى بالثقيل حملها وأنت من الرجال الذين هم أحق بحفظ حرمات اللحا لانها زينة الله فى وجوه عباده وهى حلية الوقار وسمة الكمال وما هى الحكمة فى برم شاريك حتى يصلح لان يقف عليه الصقر كما يقال وماحلق اللحية يزيد فى عمرك ولا فى رزقك

وما هو برافع منزلتك عند الناس وما هو مفيدك فائدة وما برم الشارب بزائد في شهامتك ولا متمم لمروءتك ولا بمدخل الرعب في قلوب الناس منك الى غير ذلك من الاحتجاجات على ذلك العمل الذى هو من سفساف الامور غضب وأفحمه السؤال ولم يستطع جوابا مهذب كلا والله ماهو بمهذب الا فى نظر من لايميز بين النقائص والكمالات لان ذلك العمل من العبثيات التى أنتجتها التقاليد الوهمية والشهوات الهوائية التي لم يخلق الله لها فى طبيعة الانسان بواعث ولا أسباب ولكنها سنة من سنن الذين يعملون بلا عقل ويقلدون بلا فكر ويصرون على العبثيات بلا روية وربما أخجلتهم متابعة الادباء والعقلاء إتقاء لوم المجانين الذين لايزنون الاعمال ولا يكيلون الاقوال ولا يبحثون حقائق الاحوال وذلك هو البلاء العصرى العظيم والخسران المدنى المبين

الاهل يقال لمن يتعمد الجلوس على قارعة الطريق ويداوم المرور فى الطرق والتردد على المنتزهات لمغازلة الغانيات ثم إذا مرت به ذات جمال أرسل وراءها رائد نظره حتى تغيب عن بصره مهذب كلا والله ماهو بمهذب الا فى نظر الفساق الذين لايرون عملا مدنيا أرقى من هذا العمل السافل لانه عمل شيطانى لايتلبس به إلا من استهوته الشياطين ولعبت بعقله الاهواء وأسرته شهواته فاصبح فاقد العقل والدين

الاهل يقال لمن لاينشرح صدره ولا تهتز عواطفه ولا يستريح قلبه ولا يهدؤ باله ولا يسكن قلقه ولا يزول أرقه الا إذا زاحم المازحين وجالس أهل المجون واحتفل باللاعبين وصرف وقته مع اللاهين مهذب كلا والله ماهو بمهذب الا فى نظر الذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم وألهاهم عماهم اليه صائرون لان ذلك عمل لايعمله الا الذى ضاع عقله وفقد فكره فهو لايتذكر ماضيه ولا يحسب حسابا لمستقبله وذلك هو الذي موته خير له من حياته لانه لا يكسب

منها إلا السيآت ولا يتخلص من أحوالها لا قبل الممات ولا بعد الممات

الاهل يقال لمن لم يتخلق مدة حياته بخلق من أخلاق الرجال مهذب كلا والله ماهو بمهذب وهل أخلاق الرجال الذين يحسبون عند الله رجالا الا الكرم والسخاء والايثار والصبر عند حلول المصائب ورحمة الفقراء والاحسان للجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وبر الوالدين ومواسات الضعفاء وغير ذلك مما لا يعرفه الناس الآن الا اذا ذكرت مناقب الاخيار أو تليت عليهم سيرة الابرار وهل تميزت أفاضل الرجال عن أراذلهم وأكابرهم عن أصاغرهم الا بتلك المزايا التى فقدها المهذبون

الاهل يسمى مهذبا من إذا وافاه الصباح استيقظ من منامه كما يتنبه البهيم فيتكاسل كثيراً ويتكلم قليلا ويتقلب فى فراشه زمنا طويلا حتى إذا أزف وقت العمل اشتغل بما تشتغل به البهائم من أكل أو شرب أو مداعبة صغار ثم خرج على وجهه هائما لمباشرة عمله الذى يتكسب منه بعد غسل وجهه ووقوفه أمام المرآة لاصلاح منظره وهو فى ذلك كله غافل عن الذي يكلؤه فى نومه ويحفظه فى يقظته ولو شاء لأمسك روحه الى الأبد فانه هو الذى يمسك الارواح فى منامها وهو الذي يرسلها وقد كان ذلك الغافل فى نومه هو والاموات سواء فلما استيقظ تجاهل من كانت روحه فى خزائن رحمته وتناس جميع نعمه عليه وهو يتقلب فيها ليلا ونهارا ثم هو إذا أدركه المساء نسى سكرات الموت التى جعل النوم مثالا لها ونسى قبره الذى تشابه ظلمته ووحشته وحشة الليل البهيم عند فقد الجليس والانيس وقد لهاذلك المهذب عن المواعظ والعبر التى تنزع قلوب العارفين كلما تعاقب الليل والنهار وربما بات سكرانا لا يدرى مافعلت زوجته غير مبال ولا مفكر فيما عسى أن يصيبه من مغيبات الاقدار المشار اليها بقول القائل

ياراقدالليل مسرورا بأوله إنالحيوادث قد تطرقن أسحارا

والله ماهو بمهذب الا فى نظر لؤماء العبيد الذين أضاعوا حقوق الربوبية وغفلوا عن واجبات العبودية ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بهاوهم يشهدون أعمالها ويعلمون سرعةزوالهاولكنهم عن مضارهالاهون وعن عبرهاعمون وطالما وعظتهم ولكنهم لايفقهون العبارات ولا يفهمون الاشارات

وفى هذا القدر من البيان كفاية لكل مهذب يريد أن يرى الحق حقا فيتبعه ويرى الباطل باطلا فيجتنبه ويتجنب الكذب وقول الزور ويرجع على نفسه بالملام قبل أن يتعذر الخلاص وتقع الفاس فى الراس

فيا أيها الخصم الذي ارتضيناه حكما خل عنك المكابره ودع عنك جدل الجاهلين وإصرار الحمقا وترقب ماسنلقيه اليك من شؤون المتنورين حتي تعلم انه لاتهذيب ولا تنور وأن الوقت ماهو وقت فلاح ولا مفتاح نجاح وأن الناس الآن ماهى مهابط أنوار ولامكامن أسرار ولكنهم خفافيش ظلمات زيغية وضحايا شبه تضليلية وأن الزمن لاسلامة من فتنته لبنيه ولا نجاة لمن لم يتحفظ من بلاياه ودواهيه فاقول

الاهل يسمى متنورا من لم يعرف الفارق بين طريق النبيين التي سماها الله سبحانه وتعالي الصراط المستقيم وجعلها آدابا كمالية لاتقبل النقص ولا لا عوجاج وبين طريق الطبيعين التى هى أهواء وظنون لاقواعد لها ولا أركان ولا أساس لزخرفها ولا بنيان وما هى إلا خيالات ظنية تشغل من اشتغل بها عن طريق الادباء وآداب الامناء التى عناها الامام أبوا الحسن الشاذلي بقوله من لم يتغلغل فى علمنا هذا مات مصرا علي الكبائر من حيث لايشعر

وما ذلك إلالانه لم يتأدب بآداب العارفين ولذلك لاترى كبرا ولا اعجابا ولا غرورا ولاغيبة ولا احتقارا لاحد من المخلوقات ولانوعامن أنواع الكبائر

الخفية إلا فيمن حال الشقاء بينه وبين طريق النبوة وهل يتحاشى الشواغل والملاهي ويتجنب الموبقات القلبية الا أرباب البصائر النيرة الذين فتح الله أسماعهم وأبصارهم وطهر أفئدتهم ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور

ولكن المتنورين الآن قد جهلوا مزايا التنور فتوهموا من تمويهات المرشدين أن التنور هو تحسين الكلام والمهارة فى الجدل والعلم باخبار الامم والاقتدار على قلب الحقائق بان يجعل الباطل حقاً والحق باطلا وماهم والله بمتنورين إلا فى نظر من أضله الله على علم وختم على قلبه وجعل على سمعه وبصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله

الاهل يسمى متنورا من إذا أظلم الليل ووقف أهل الخشية فى محاربهم باكين متضرعين لهم أنين كأنين المرضا وحنين كحنين الثكلى كان هو فى حانات الملاهى متواجدا عند سماع أصوات المغنيين أو فى خلوة مع احدى الزانيات أو مُتَدَهولاً كما تقول النساء فى نشوات سكره أو لاهيا فى منافسة المقامرين حيث الادباء فى أوقات التجليات يناجون ربهم راغبين فى رضوان العزيز الجبار خائفين من سخط المنتقم القهار متفكرين فى سرعة حلول المنايا التى تسارع الأيام والليالي فى اقترابها وموقنين بأنهم محاسبون على الفتيل والنقير والقطمير عالمين بأنهم مكلفون بواجبات عبودية ماقاموا بالقليل منها وهم عنها مسؤولون وعلى كل ماقدموه من خير أوشر قادمون (وأن ليس للانسان إلا ما سعى وأن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الأوفى) فهل يكون حال ذلك المتنور فى جانب أحوال أولئك السعداء الا كحال المصاب بالجنون فى جانب أوفر الناس عقلا وأكملهم وقارا وهل يكون ذلك الأحمق متنورا إلا في نظر من إذا هَمْهَمَ الهِرُّ المحموم فى أذنه قال له انك لعليم حكيم

الاهل يسمى متنورا من قضى غالب أيامه فى استكشاف شؤون الامم

الذين لا نسبة بينه وبينهم وما هو بمكلف باستطلاع أخبارهم ولا بمعرفة معايبهم ثم
هو لا يُرَجِّي من إجهاد نفسه وطول تماديه في هذا العمل غاية محمودة ولا عاقبة طيبة
غير انه يحب أن يفوق باعة الكلام ان كان صحافيا فى نقل الاخبار الشاغلة وان
كانت مكذوبة وجلب الدنانير وان كانت من طريق لا يحل اتخاذها وأن يكون
أشهر صحافي تهابه الناس ويكرمونه اتقاء شره وأن يكون أمهر مموه عند الجدل
ومجارات المتقولين وأن يكون أقدر موقظ للفتنة وهو في ذلك الزمن الطويل لا
يتذكر نفسه يوما ما فيزن حالها مع الله ليعلم أراض هو عنه أم ساخط ولا يقارن
بين حاله وحال الادباء مقارنة العقلاء ليعلم أمعوج هو عن طريق النجاة أم مستقيم
بل قنع من نفسه بذلك العمل وأصبح راضيا عنها فكلما دعته إلي عمل من
الاعمال أو قول من الاقوال أو حال من الاحوال ارتكبه بلا فكر ولا ترو لانه
عد نفسه من العقلاء الذين ليس للرسالة السماوية ولا للاوامر الإلهية عليهم من
سبيل ولو أن ناصحا أراد أن يبصره بعيوبه لما وجد لذلك ملجاء من أخلاقه التي
لا ندريها أملوكية هي أم شيطانية لانها كبرياء ملوك وعظمة مردة وإعجاب طواويس
وأبهة فراعنة وتدليس شياطين وتمويهات ماكرين ومحاورة محتالين ولو أن
الناصح له تجارى على إلقاء موعظة اليه من طريق دينية لما أصبح الصباح الا وقد
امتلأت الآفاق صحفا منتشرة لا مطهرة ولا مكرمة تحمل معايب قد اختلقها
ذلك المتنور لذلك الناصح الأمين

تالله ما هو بمتنور الا فى نظر الذين تعودت أنفسهم حب حمالة الكذب
والتغذي بتلك الاتاويل التي لا تفيد السامع ولا القارئ فائدة فى دينه وما هى
الا من الملاهى التى لا تميل اليها نفوس الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه
راجعون والعجب كل العجب لمن ينتظر بفروغ صبر انتشار تلك الصحف ليعلم
معايب الناس ويطلع علي عورات الخلائق ويحيط علما بأخبار مختلفة وما ذلك

كله الا ليتنور وقد مضى غالب عمره وما وجد لذلك نتيجة لا فى الاخلاق ولا فى العلم ولا فى العمل غير انه اهتدى الى سبيل التمويه وزخرفة الكلام فظن أنه من المتنورين وذلك هو الداء العضال الذى أضر بأخلاق الامم وأديانهم وأنساهم الآداب الكمالية وباعد بينهم وبين كل خلق محمود يحبه الله وألهاهم عن كل باب من أبواب البر الموصلة الى دار الكرامة ومنازل النعيم ذلك بأنهم استحبوا العمى على الهدى وفرحوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والله لا يهدي من هو مسرف كذاب

الاهل يسمى متنورا من اذا سئل عن الفارق بين أكابر الرسل الذين أسسوا الآداب الكمالية وشرعوا شرائع الارشادات الربانية ورقت بكثير من الادباء فى مراقى الفلاح والمجد تعليماتهم وبين فلاسفة الطبيعين الذين هم أحجار العثرة فى طريق النبيين والذين هم السد المانع بين الناس وبين رحمة رب العالمين

أيهما أحسن حالا وأصلح أعمالا وأقوم طريقا وأهدى الى الآداب الكمالية سبيلا وأي فريق منهما أفضل عند الله قدرا وأكرم منزله وأعظم جاها ومن منهما أتم فى أعمال العبودية اعتدالا وأقدر على القيام بحقوق الربوبية أداء لصار باهتا لا يحسن التصور ولا يدرى ماذا يقول لانه ان قال الحق واعترف بأن الرسل أقوم قيلا وأهدى الي الكمال سبيلا قال له السائل ولم لم تتبعهم كما اتبعهم المهتدون وان قال إن الفريق المقوت أفضل كان كمن يقول إن النحاس خير من الفضة ومن الذهب الخالص أو كان كمن يدعى دعوى لا يجد علي صحتها دليلا لان الايات البينات والأعمال الصالحات والارشادات الواضحات تقوم فى وجهه مقام المكذب ولو أنه أصر على المكابرة لقام القران المجيد على رأسه قائلا إنك لمن الكاذبين الذين يفترون على الكذب وهم يعلمون

تالله ما هو بمتنور الا فى نظر الذين إذا تليت عليهم آيات الذكر الحكيم وخرقت آذانهم آيات الوعيد والتهديد سرهم سماع ذلك الصوت المطرب كما

يسر اللاهى بسماع الاغانى وما هو بعاشق ولا طروب ولكنه أشبه شئ بالحيوان الذي عوده معلمه الرقص كلما غناه أو ضرب بالدف أمامه ولو أنه كان متنورا لبكى على نفسه بكاء طويلا

الا هل يسمي متنورا من لم يجعل الله له نورا يتخلص به من أوحال حياته ولا تعلم من أمر دينه كيف يرضى ربه ولو انه سئل عن أوحال الحياة ماهى ما علم لهذا اللفظ معنى ولا فقه له مدلولا ولو قيل له إن أوحال الحياة هى الشهوات النفسانية والأغراض الهوائية التي تعوق الانسان عن العروج فى معارج المقامات القدوسية وراء الابرار والمقربين الأخيار وظلماتها هى العوارض الشاغلة للقلوب عن حلول الموت وما بعده من أعمال القيامة والمنازل الابدية لقال انى لا أفقه لهذا الكلام معني ولا أصل الي إدراك مفهومه الا بضرب مثال

ولو أننا أردنا أن نرشده الي معالم الرشد بضرب المثل قائلين أيها المتنور لاتكن ظلوماً لنفسك ولا جهولا بعرض قلبك واعلم أن مثل الإنسان فى تقلبه فى أطوار حياته كمثل غريب ألقت به المقادير الي قوم استقبلوه بترحاب وتكريم وكان ذلك النازل فاقد القوى غير عالم بما عليه القوم من الشؤون ولا يدرى من أين أتى ولا الى أين يذهب فقام القوم بواجبات خدمته واكرامه حتى قويت حواسه وجوارحه ومدركاته وأخذ يعمل كما تعمل القوم فجاءه رجل من عقلائهم قائلا ياهذا إن هذه الدار التي توطنها مكرموك ماهى دار إقامة ولا هي مملوكة لأحد منهم ولكنهم أمثالك نزلاء من كانوا يعمرون هذه الدار قبلهم ثم رحلوا وتركوها وما كان رحيلهم الي مكان بعيد ولكنه كان الى سجن ضيق ومكان مظلم لو أرسلت بصرك لرأيته وقد فقدوا تلك القوي وتناسوا ذلك النعيم ثم أخذ بيده الى مكان قفر وأعني به المقبرة وقال له هذا مراح القوم ومسقط رؤسهم وان الطريق التى توصلك الي هؤلاء القوم هي الطريق التى سلكها مكرموك وانها لطريق ذات

عقبات مهلكة ولها أوحال من تورطها هلك ولا مخلص من تلك الاوحال الا تجنب تلك العقبات أو تجاوزها عدْواً فان رمت السلامة فدر فريدا متحفظا من تخاصم القوم وتنازعهم ومن ملاهيهم وألعابهم ولا تصغ لمن يناديك منهم من خلفك فان الذي يناديك من خلفك في طريق النجاة هو أجهل منك بها ولا تخالف من ناداك من الأمام فانهم أدري منك بمفاوز الطريق وإياك أن تشتبه عليك الطرق وأصوات المنادين فان طريق السلامة لها أعلام ومصابيح على رأس كل مرحلة من مراحلها وأما باقى الطرق فانها مظلمة وما هى إلا طريق واحدة ولكنها ذات شعب ومسارب كثيرة فاحذر أن تتهاون بنفسك كما تهاون القوم بنفوسهم فهلكوا وهم يشعرون

فان كان النازل الغريب على استعداد لتعقل النصائح وذا قابلية تقبل الارشاد وقف على أفواه الطرق وفتح عينيه واستعمل فكره وتبصر فى أمره وتدبر عواقب ما عليه القوم وأخذ لنفسه بأحوط الأحوال وأقربها للسلامة وجعل عينه متجهة للنظر الي منازل الراحلين التى لا أنيس بها ولا جليس وتأمل سرعة الرحيل وقصر أوقات الاقامة وتجنب الالعاب والملاهى وسلك سبيل المهتدين

وان كان ضيق الحظيرة قاصر النظر ضعيف الهمة ضائع العقل سئ التصور فاقد الفكر خبيث الاستعداد لئيم الطبع لا يجد بدًّا من منازعة اللاعبين ومسابقة اللاهين وتغافل عن عاقبة أمره وسوء مصيره وتباعد عن صياح الناصحين وصغى الي مداهنة الغاوين

وما ضربنا لك هذا المثل الا لتعلم أنك أنت الغريب الذي نزلت يوم ولدتك أمك بقومك وأنت ضعيف القوي لا تعلم شيأ ففرحوا بك وأكرموك الي أن قويت آلات أعمالك وصرت تحسن الرحيل وحدك ونريد بالرحيل هنا سلوك احدى الطريقين إما طريق الكمالات وأما طريق النقائص لانهما مسارب

المكلفين الذين لا بد لهم من السير فيها للوصول الى احدى الغايتين فانه مامن طريق الا ولها غاية ينتهي اليها مسير سالكها وما نريد بالوجل العاقل الا صاحب الرسالة أو النائب عنه فى تبليغها وما نريد بمن يناديك من الامام الا السلف الصالح الذين سبقونا بالايمان وبينوا لنا طريق النجاة أو الاتقياء الذين ثبتت لك استقامتهم وما نريد بالذين ينادونك من خلفك الا الذين لاقدم لهم فى طريق النبوة من المرشدين الذين لم يسلكوا سبيل المهتدين بل اعتمدوا فى إرشادهم على مقالٍ لاحال معه ولا عمل وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن متابعة من هذا حالهم بقوله لعبدالله ابن عمر خذ عن الذين استقاموا ولا تأخذ عن الذين قالوا.

وما ذلك الا لانهم أجهل الناس بطريق الاستقامة وما أهل الاستقامة الا الذين راقبوا قلوبهم وأمسكوا ألسنتهم وطهروا أقلامهم فلا عزم لهم الا على أعمال البر والمواسات ولا يقولون الا الحق المنجي ولا يكتبون الا ما لو سئلوا عنه يوم القيامة لأحسنوا الاجابة والذين يذكرون الله كثيرا واذا ذكر الله وجلت قلوبهم والبكاؤن من خشية الله وما نريد بمراحل حياتك الا الاطوار التى تتقلب بك فيها الشمس كلما غربت أو أشرقت وتنقل بك اليها الليالي وأنت لا تشعر فما أسرع مرور الشمس بك الى نهاية أجلك وما أغفلك عن عملها فيك

وما نريد باوحال حياتك الا متابعة شهواتك عند بلوغ الحلم فان لطور الشبوبية أوحال مهلكة وهي الشهوات البهيمة التى تضطر الشاب الذى غلبت شهوته عقله الى مغازلة الغانيات ومعانقة الملاهى وتعاطى المحرمات فيصير فى أوحال لايخلصه منها الا معونة الله وتوفيقه وهكذا كل طور له أوحال تناسبه كما بينا ذلك فيما سبق وما من أحد يستطيع تجنب تلك الاوحال الا الذى تباعد عن ظلمات الزيغ وتنور بنور العلم الديني الذى علمه العليم الخبير لرسوله وأمره بتعليمه للناس لانه جل شأنه هو الطبيب الحكيم الذى علم الداء ودبر الدواء (ألا

يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير)

الى غير ذلك من الامثلة الصحيحة لحلق بعينيه وبرم شاربيه وهزّ رأسه وقال انه لمثل محكم ولكنى أبصر بحالي من كل بصير وأنور من كل متنور ولسنا ممن يجهلون كيف يعيشون وما هذا العصر بعصر التدين ولكنه عصر التمدين فهل يكون من هذا حاله ومقاله متنورا

تالله ماهو بمتنور ولكنه جهول مغرور لا يدري كيف تكون الحياة الطيبة ولا كيف تكون الموتة الحسنة لانه ما عاش الا كما تعيش البهائم التى تملكها الشهوات ولا تخاف الممات ومن يضلل الله فما له من هاد

وفى هذا القدر كفاية لمن شاء أن يبحث فى أحوال المهذبين وشؤون المتنورين ولقد خاطرت بنفسى مخاطرة من رأى النار خلفه والموج أمامه فاختار الغرق رجاء النجاة ان صادفته سفينة ولعله أن ينجوا من أليم الحريق ذلك لان الساكت عند ظهور البدع واقع فى لعنة الله تعالى والناطق بالحق بين أبناء هذا الزمن محاط بألسنة حداد حيث لاناصر له ولا معين لأنهم قد أجمعوا على أن التهذيب هو حسن التملق واتقان المصانعة وان التنور هو التهاون بأوامر الله ومناهيه وكان أمر الله قدرا مقدورا فلذلك اخترنا النجاة من لعنة الله ولو كانوا كارهين

ولا أدرى كيف سهلت دعوى التنور والتهذيب على مدعيها فى نفسه أو فى غيره مع علمهم بأن التهذيب ما وصل اليه أهله الا من إحدى طرق ثلاث الاولى طريق الاصطفاء والعصمة المشار الى أهلها بقوله تعالى (أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح وممن هدينا واجتبينا اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا) والثانية طريق المجاهدة المشار اليها بقول رسول الله صلي الله عليه وسلم رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر

ولا يريد به الا مجاهدة النفوس وكفها عن الشهوات والاغراض الهوائية والثالثة طريق المحن والبلايا التى يريد بها الحق سبحانه وتعالي تطهير بعض عباده من شوائب النقص والي ذلك الاشارة بما ورد فى الحديث القدسي ان من عبادى لمن يصلحه الفقر ولو أغنيته لفسد حاله وكما يصلح الحق سبحانه وتعالى حال أناس بالفقر كذلك يصلح حال آخرين بالمرض وبأنواع المصائب والى ذلك الإشارة بقول الامام الشاذلى رضى الله عنه اللهم ان القوم قد حكمت عليهم بالذل حتى عزوا وحكمت عليهم بالفقد حتى وجدوا فكل عز يمنع دونك فنسألك بدله ذلا تصحبه لطائف رحمتك وكل وجد يحجب عنك فنسألك عوضه فقدا تصحبه أنوار محبتك فانه قد ظهرت السعادة علي من أحببته وظهرت الشقاوة على من غيرك ملكه فهب لنا من مواهب السعداء وأعصمنا من موارد الاشقياء

ولا معنى لظهور السعادة والشقاوة على الانسان الا تلبسه بالاعمال والاحوال الدالة على ماخفى من أمره فلقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أسر سريرة ألبسه الله رداءها وقال أحد البلغاء

ومهما تكن عند أمرء من خليقة وان خالها تخفى على الناس تعلم

ذلك بأن الاعمال والاحوال هى عنوان القوابل والاستعدادات وليست استعدادات السعداء وقوابلهم كقوابل الاشقياء واستعداداتهم فالسعيد الحق هو المهذب التى تهذبه العناية الالهية والشقي هو الذى يظن فى نفسه التهذيب وما هو بمهذب ولذلك بينا عيوب من يدعون التهذيب لكيلا تلعب بعقولهم الشياطين ويهلكهم الجهل بشؤون المهذبين قال السرى السقطى رضى الله عنه لسانك ترجمان قلبك ووجهك مرآة سرك فيتبين علي الوجوه ماتضمر القلوب والقلوب ثلاثة قلب مثل الجبل لاتحركه الاهواء ولا تميل به الشهوات وقلب كالنخلة أصلها ثابت ولكن الرياح تميلها وقلب كالريشة تميل مع الهواء حيث يميل

فالاولي هي قلوب المهذبين من أهل التقوى والثانية قلوب عامة المؤمنين الذين اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون والثالثة قلوب أهل الملاهي المشار اليهم بقوله تعالى (ان هم الا كالانعام بل هم أضل)

وسئل بعض الصالحين عن علامة التهذيب فقال المهذب هو الذي لا ترد عليه أعماله ولا تضبط فى دفاتر السيآت أقواله ولا ترده الي أسفل سافلين أحواله ودخل شاب على سهل بن عبد الله التستري فقال الشاب أيها الشيخ أيعلم العبد أن الله تعالى قد قبله فقال سهل بن عبد الله لا يعلم فقال الشاب بل يعلم قال الشيخ لا يعلم فردَّدَ الشاب قوله بل يعلم قال وكيف يعلم قال اذا رأيت الله تبارك وتعالى عصمني من كل معصية ووفقني لكل طاعة فقد أحبني وقبلنى واذا منعني من الطاعات وأخذ بخنقي الي أنواع المخالفات فقد خذلنى ومن رحمته طردنى فسكت الشيخ وذهب الشاب من حيث أتى

وهكذا هو الشأن فى دعوى التنور فقد وردت الآيات القرآنية والاحاديث النبوية بما يدل على أن النور لا يجتمع مع الظلمة فى قلب واحد وان القلوب لا يظلمها الا المعاصى ولا ينورها الا الطاعات والي ذلك الاشارة بقول الامام الشافعي محمد ابن ادريس رضى الله عنه

شكوت الي وكيع سوء فهمى ... فارشدنى الي ترك المعاصى
واخبرنى بان العلم نور ... ونور الله لا يهدى لعاصى

وهذا هو الحق ولكن المتنورين من أهل هذا الزمن اشتبهوا فى معنى العلم المنجى وجهلوا معني التنور فظنوا أن الادراكات الحيوانية التى تشاركت فيها جميع الحيوانات هى التنور وقد غاب عنهم أنه لو كان الامر كذلك لكانت الحيوانات المحتالة أنور من الانسان قلوباً لانها تعمل بلا تعليم ولا معلم وليس الامر كذلك ولكن التنور هو الفهم عن الله سبحانه وتعالي لكل ما يلقيه الى العبد اما من

طريق الاشارة واما من طريق العبارة واما العلم المنجي فهو الوقوف على حقيقة مايحبه الله من عباده ودقة البحث عن ذلك رغبة ورهبة وأن يعلم العبد أنه مخاطب بكل ماوردت به الآيات وأنه المقصود بما تصدر به مواعظ الاشارات من طريق قوله تعالى (سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أولم يكف بربك انه على كل شئ شهيد) فأقل حال من أحوال المتنورين أن يفقه المتنور معني هذه الآيات ويتحقق بمفهومها حتى يعلم من طريق التوفيق والعلم الذوقى كيف يكون الله شهيدا على كل شئ ويعلم الحق حقا فيتبعه

فهل لارباب الدعاوى الكاذبة من أهل هـذا الزمن المظلم الذى تهذيبه غرور وتنوره فجور أن يزنوا أحوالهم بموازين الآداب الكمالية التى كان عليها الاقدمون من رجال الدين ليتبين كل منهم حاله ويعرف نفسه ويتحقق المدعى أصادق هو فى دعواه أم هو من الكاذبين

وهل لعقلاء الزمن ان كانوا من أولى الالباب أن يطالبوا كل مدع باثبات دعواه من طريق الحق الواضح حتى يحول الحياء بين الدعاوى الباطلة وبين أربابها حتى وان كانوا من ذوي الجاه والوجاهة فما كنا نظن أن الجهل بالحقائق البينة يقف بأمتنا هـذا الموقف الذي ترك المهـذبين والمتنورين من أبنائها فى ظلمات لا يبصرون وما هى الا ظلمات الطيش والاعجاب وقد ملأت مدونات الاداب الكمالية التى هى مصابيح التهذيب والتنور خزائن معاهدهم الدينية وأشغلت فراغا من كثير من مكاتبهم المنزلية وهم عنها لاهون حتى أصبح حال أوفرهم علما وعقلا لا يتميز من أحوال الذين ضرب الله بهم المثل بقوله (مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لايهدى القوم الظالمين) وما كنا نتوهم أننا فى أمة لو نادينا نبهاءها وكلفناهم بأن يقفوا معنا مواقف البحث والتدقيق لاستكشاف

الحقائق التى هى أهم مباحث العقلاء لنهتدى الي طريق نتخلص بها من أوحال الحياة التى نبهنا اليها النبيون والمرسلون ولنتبين سبيل الاستقامة والصراط المستقيم التى سلكها الامناء والادباء من قبل لان البحث والتدقيق من عمل العقلاء الذين لا يركنون الى تكذيب نبإ من قبل أن يتبينوه سيما الانباء الصادرة من القوم الصادقين

لواجهتنا قرائن الاحوال وفضائح الاعمال بمثل الاقدمين (قالوا للجمل زمر قال لاشفة متلاصقة ولا أصابع متفرقة) بمعنى أنهم فقدوا مزايا العلم النافع والعمل الصالح ولا يقوى على البحث عن حقائق الآداب الكمالية الا من أحاط علما بأعمال النبيين وأخلاقهم وعلم ما كان عليه أدباء الامم وأمناؤهم ولا يداوم على التدقيق الا من تمرن على العمل الصالح وحلاله مرير الصبر على مخالفة الشهوات ومدافعة الاغراض الهوائية وقد امتلأت قلوب القوم مآرب واغراضا وأشربها الزيغ شكوكا وأمراضا بسبب وساوس شياطين الفلسفة الطبيعية الذين تركوا الناس فى طغيانهم يعمهون وكان أمر الله قدرا مقدورا

جاءت المدنية الاسلامية آمرة باحترام الاديان السماوية وآمرة بالايمان بجميع الرسل وبالكتب المنزلة عليهم وقد أوصت بمسالمة أممهم ماداموا عاملين بما أنزله الله على رسلهم من التعليمات الشرعية والآداب الكمالية وكثيرا ما كرر الله سبحانه وتعالي وصاياه فى القرآن الحكيم بذلك فى مثل قوله لعباده المؤمنين (قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل الي ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لانفرق بين أحد منهم) وقوله فى كمال التمدح بكمال أخلاق رسوله وحسن صنيع أمته (آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لانفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا

واليك المصير) ذلك ليعلم عقلاء الأمم ان مشرع الشرائع السماوية فى كل زمن هو الله وحده وأن مرسل الرسل لجميع الامم هو الله وحده وأن منزل الكتب هو الله وحده وأنه وحده هو المعبود الحق وهو وحده الآمر الناهى على لسان كل رسول وما كانت الرسل الا عبيدا أخصاؤهم أخوف العبيد من الله وأطوعهم لاوامره وما من رسول الا وهو مؤمن بمن كان قبله من الرسل وبمن يأتى بعده لعلمهم أن من كفر برسول منهم فقد كذب الله سبحانه وتعالى وعارض أوامره ومن كان هذا حاله لاتفيده محبة الباقين من الرسل شيأ لانه انما هو متبع فى تلك المحبة لهوى نفسه وأغراضها وما ذلك بالايمان الصحيح ولا بالانقياد الحق فلذلك كان ايمان الرسل بعضهم ببعض وما من مؤمن من الامم الماضية صحيح الايمان الا وكان هذا حاله فى الايمان بجميع الرسل

ولكن جهلاء الامم الذين كان إيمانهم برسلهم ايمانا شهوانيا كايمان أهل هذا الزمن قد غفلوا عن تلك المزايا وجهلوها وما علموا أنها آداب دينية تتوقف صحة الايمان علي التمسك بها إذا العبد الذى يخالف أوامر سيده مرة ويوافقه أخرى ماهو الا من عبيد السوء الذين لايعملون الا على أغراضهم ومتابعة أهوائهم وذلك هو أشنع عيوب العبيد

ثم قام من الامم أناس سفهاء ممن كانوا يشترون الدنيا بالدين يدعون الارشاد ويزعمون الرشاد وما هم براشدين ولا بمرشدين ولكنهم ضالون ومضلون وعاملون على المحافظة على مناصبهم الدينية كيلا تضيع فوقفوا فى وجوه الرسل مواقف الشياطين واقتدى بهم السفهاء من الامم فجحدوا رسالة الرسل الذين جاؤا من بعد رسلهم ظلما وعدوانا وتمسكت كل أمة بعمل السفهاء منها الا من هدي الله ثم سمّت كل أمة عمل سفهائها دينا من حيث لم تعلم أن الدين الذي جاء بها رسولها ماهو الذى عليه أولئك السفهاء الذين فرقوا بين الرسل

وجعلوا الأديان التي هي منشأ الآداب ميادينا للتعصب ومسارح للتحزب ومخادع للتباغض والتحاسد واتخذوها أسلحة للعدوان ومطايا للطغيان مع علمهم بأن المعبود واحد وان الرسل لا عمل لهم الا تبليغ ما أمروا بتبليغه من الرسالات وما هم الا سفراء بين الله وبين عباده ومع علمهم بأن الله سبحانه وتعالى ما علم عباده التعليمات السماوية ولا أمرهم بالتجمل بالاداب الكمالية الا ليتميزوا عن جميع الحيوانات التي يطغيها الاقتدار ويذللها الضعف والافتقار وما أراد الحق سبحانه وتعالى بتلك الامتيازات الا تكريم هذا النوع الذى خلقه لأجله وفهمه المقصود من ايجاده بمثل قوله (يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم) وهل للتعارف معنى الا تقوية رابطة الأخوة المشار اليها فى قوله تعالي فى مبدء الآية (انا خلقناكم من ذكر وأنثى) وفى قوله فى موضع آخر (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والارحام ان الله كان عليكم رقيبا) وهل جاءت الاديان الا لتقوية هذه الرابطة النوعية التي هي بمنزلة رابطة الاخوة التي لا تعادلها رابطة حتى يكون الناس جميعا على قلب رجل واحد فى العبودية فلو أن الناس تمسكوا بآداب أديانهم لما فاتهم التمسك بتلك الرابطة ولكن شرور المرشدين ومفاسد المضلين هى التي بدلت الحسنات بالسيآت وقلبت الخير شرا وصيرت الهدى ضلالا وذهبت برشاد الأمم وأضاعت عقول العقلاء منهم جيلا بعد جيل حتى جاء هذا الجيل الذي توفرت فى شياطينه شروط الاغواء وتقوت فيه بالفلسفة الطبيعية حجج المبطلين وذهب الله سبحانه وتعالى الي القبور بأهل الرشاد والارشاد تنفيذا لما أراده بعباده فكان تمسك كل أمة بدينها بعد فقد الفضلاء منها أشبه شئ بتمسك الغواة بمحبة فرسان الروايات الخرافية التي يرتزق شعراء الرباب بذكرها للغاوين فمنهم من يتمسك بمحبة دياب

ابن غانم ومنهم من يتمسك بمحبة الزناتى خليفة فاذا سر أحدهم بنصرة صاحبه حزن صاحب الآخر حزنا شديدا وبالعكس وما رأى أحد منهم صاحبه ولا عمل بعمله الذى أحبه لأجله وذلك هو العبث الذى لايتلبس به الا جهلاء الرجال وسفهاء الشبان ولقد أوردنا هذا المثل فى كثير من النصائح ولكن أكثر الناس لايفقهون

فهل يكون حال الذين جعلوا الاديان فتنة فيما بينهم وهم لايدرون ماهو الدين الا كحال أولئك الجهلاء الذين لعبت بعقولهم الشعراء وهل من جاهل أجهل من الزنديق الذى اذا انتسب لدين من الاديان انطلق لسانه بسب الرسل الذين لم يتدين بما جاؤا به من الشرائع ظانا انه على الحق وانهم كانوا مبطلين ومن أشد عذابا يوم القيامة ممن يخوض فى آيات الله تكذيبا وتأويلا بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير كما يفعل سفهاء المبشرين الآن الذين أيقظوا نائم الفتن وأضلوا الجهلاء من الاقباط وأفسدوا عقائد الشبان طمعا فى تحصيل حطام زائل والحق ينادى على رؤسهم بقول الله سبحانه وتعالى (انما يأكلون فى بطونهم نارا وسيصلون سعيرا)

وإنا إن نادينا أحزاب الاديان السماوية من هذه الامة قائلين ياأيها العقلاء انما أنتم على اختلاف مللكم ونحلكم أجزاء جسد واحد أعنى أبناء أمة واحدة والامة الواحدة ماهى الا جسد تجتمع أجزاؤه تحت رعاية رأس واحدة وما من داء أشد ضررا باجسام الامم من تفرق أجزائها فان كان تفرقكم واختلافكم وتخاصمكم وتنازعكم على أمر دينى فما أنتم من أهل الدين ولا علم لكم بآداب الدين وما منكم من فرقة متمسكة بآداب دينها ولكنكم فى واد والدين الحق فى واد ومازعمكم انكم نصراء الدين الا كزعم زعماء الفلسفة الطبيعية الذين يحاربون الدين باسم الدين وليس الدين بمحتاج الى نصرتكم فان الدين ينصر أهله ويعلي

شؤون كل متمسك به فلا تجعلوا الاديان طريقا للفتنة وملجأ للاغراض الهوائية وابحثوا عن حقائق الاديان حتى تصلوا اليها فان أنتم وقفتم على تلك الحقائق وتحققتم بتلك الاداب كان الاتحاد بينكم طبيعيا ولم يجعل الدين للشيطان عليكم سبيلا والافما أنتم الا اسراء أهوائكم ومرضاء أغراضكم وذبائح نفوسكم وشياطينكم وكان أمر الله قدرا مقدورا

ياقوم ليس فى الانتساب الى الاديان منجاة اذا لم يكن الدين قائدا لطريق النجاة وليس من الأدب أن يبغض الانسان انسانا آخر لايدرى منزلته عند الله ولا يعلم أمحبوب هو عند ربه أم مبغوض ولا يدرى ماذا تكون خاتمته عند الموت فالاولى لكم أن تعودوا أميالكم التمسك بسماع النصائح حتى تهتدوا وتعتدلوا فى الطريق الأقوم وليعتنق كل منكم دينه معانقة المحب المطيع ويتأدب بآدابه التى منها حفظ حرمة الجوار والانقياد لولاة الامور وترك التباغض والتحاسد والتنافس فى الشرور فان ذلك من آداب كل دين والا فليترك دعوى التدين ويعيش بلا دين كالبهائم أو كأشرار الشياطين

وان كان التنازع فى أمور دنيوية فارجعوا فيها الي ولاة أموركم فما جعلهم الله الا لذلك الغرض فاتركوا التعصب الذى ينافى آداب الاديان الى غير ذلك من النصائح لاستقبلتنا ألسنة أحوالهم بقول الأقدمين

(قالوا للجمل زمر قال لاشفة متلاصقة ولا أصابع متفرقة)

ذلك بأنهم أقوام مااستعملوا من الدين علما نافعا ولا عملا صحيحا ولا قولا مفيدا ولا حالا حسنا ولا تمسكوا بأدب من آداب الدين ولكنهم رضوا من أديانهم بالنسبة التى ضربنا لها المثل من قبل سواء فى ذلك المسلمون والمسيحيون وباقى الملل حتى توهم الناس أنه لادين الا مجرد الانتساب وماذلك إلا لفقد الامناء وغباوة العلماء وغش المرشدين وجهل المعلمين والله لا يهدى القوم الفاسقين

جاءت المدنية الاسلامية ناهية عن الغش بجميع أنواعه التى لاتحصى لما فيه من المضار التى تهلك الغاش من حيث لا يشعر وما ذاك إلا لانه ماقدم على هذا العمل المذموم الممقوت الا وهو غافل عن واجبات حفظ حرمة الخالق الاكبر من حيث لا يدرى أن لكل مخلوق نسبة الى خالقه من طريق سريان سر القيومية الالهية التى قامت بها الموجودات وماهى كنسبة الصنعة للصانع فقط ولكنها نسبة فوق تلك النسبة بكثير وانها لهى المشار اليها بقول الامام الوفائى رضى الله عنه لربه فى مناجاته إذ يقول بعد كلام طويل أحاطت أسماؤك بكل حقائق الوجود من جواهر واعراض وأحوال وعقول وأرواح ووسائط ومركبات وبسائط ودقائق وحقائق ورقائق لها وصف قبول رابطة عالم الأمر بعالم الخلق المدرك حقيقة تجلي الوجوب فى مظاهر الامكان بما لاعين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر الى آخر ماقال وهل تكون رابطة عالم الامر بعالم الخلق بالنسبه لكل حيوان الا النسبة المشار اليها بقوله تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام (ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم الا قليلا)

وانها لنسبة تحتم على كل ذي علم وعقل وحكمة وأدب أن يحترم كل ذى روح وأن يلتزم الادب فى معاملة كل مخلوق ومن طريق هذه النسبة حرم الشارع أكل الذبيحة التى لم يذكر عليها اسم الله لان قول الذابح فى ذلك الموطن باسم الله الله أكبر يذعن بالاعتذار وعدم الاقدام على ذلك العمل الفظيع لولا علمه بأن الله أباحه له فكأن الذابح فى الحقيقة هو الله ومن لم يذكر اسم الله فما هو الا غاش لنفسه وظالم للذبيحة فلذلك حرمها الشارع على الآكلين احتراما لتلك النسبة الحقيقية التى لم تجعل لمخلوق على مثله سلطانا إلا بامر إلهى

ولذلك نهت المدنية الاسلامية عن الغش ومقته مهما كان وكيف كان والغاش لاى مخلوق ماهو الا غاش لنفسه بايقاعها فى مهوات التهاون بحقوق

تلك النسبة بمرآى من علام الغيوب الذى لاتخفى عليه خافية والذى هو أغير على صنعته من كل غيور والذى عمت عنايته جميع مخلوقاته والذى جعل موسى السامرى فى حضانة رئيس الملائكة المقربين وهو شقي وصير موسى النبي في كفالة فرعون وهو أعدى أعدائه والذى أكرم ملوكا لكلاب وادخل امرأة النار فى هرة فقد ورد فى الحديث الصحيح أن سول الله صلى الله عليه وسلم قال دخلت امرأة النار فى هرة ثم أوصى باحترام كل ذى روح بمثل قوله في كل ذي كبد رطبة أجر وقوله ماعبد الله بشيء أفضل من لقمة فى بطن جائع ولم يعين نوعا من أنواع الحيوانات

ومما يؤيد هذا المعنى ما كتبه الله سبحانه وتعالي على بني اسرائيل انه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الارض فكانما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكانما أحيا الناس جميعا) ومما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ان بغيا من بغايا بنى اسرائيل مرت بكلب قد خرج لسانه من العطش وهو على رأس بئر ماء فلما رأته رحمته فنزعت خفها وملأته ماء وسقت الكلب فشكر الله صنعها وغفر لها برحمتها ذلك الكلب

وفيما حكاه الامام ابن عربى محيي الدين رضى الله عنه فى كتاب الفتوحات المكية قال أخبرنى الحسن الوجيه المدرس بملطية أن والى بخارى كان ظالما ومسرفا على نفسه فرآى فى الطريق كلبا أجرب وهو ينتفض من شدة البرد فى يوم ماطر فامسك عنان جواده وأمر بعض شاكريته أن يحمل الكلب فحمله الى منزله وجعله فى موضع حار وتعهده بالطعام والشراب حتى تقوى فسمع هاتفا يقول له كنت كلبا فوهبناك لكلب فما مضى بضع أيام الا وقد أصلح الله حاله وصار من المتقين وكان ليوم موته مشهد عظيم ظهرت عليه علامات القبول

وفى صحيح الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال إن العبد

ليقف بين يدى الله عز وجل يوم القيامة فيطيل الله وقوفه حتى يصيبه من ذلك كرب عظيم فيقول يارب ارحمنى اليوم فيقول الله سبحانه وتعالي هل رحمت أحدا من خلقى من أجلى هات ولو عصفورا

وكم من أحاديث قدسية وأخبار نبوية ونوادر مروية دالة على عظم عناية الله سبحانه وتعالي باضعف الموجودات ومساواتها فى رحمته وعظيم عنايته باكابر مخلوقاته وما ذلك الا لاتحاد النسبة فى الايجاد فلو أن الغاش كان على علم بتلك النسبة لما تجارى على ارتكاب هذه الجريمة الفظيعه وليس الغش قاصرا على مايعمله العوام من الغش فى الاعمال التجارية وفى أنواع البيوع ولكنه أمر عام يشمل كل عمل أو حال أو قول يؤذى مخلوقا من مخلوقات الله تعالي لم يبح الشارع التلبس به ولقد راعت المدنية الاسلامية فيه مضارا كثيرة وكررت النهى عنه تارة بصريح العبارات وأخرى من طريق الاشارات فلو أن المسلمين ماخالفوا أوامر مدنيتهم ولا تهاونوا بنواهيها لما تورطوا أوحال الانحطاط الذى تصايحت به الصحف المنتشرة زمنا مديدا والذى نحن الآن فى حضيضه واحلون

أيها العقلاء إن من مضار الغش أن يكون سببا فى قطع العلائق التى يرتبط بها الاخ بأخيه والاب بابنه والجار بجاره والزوجة ببعلها والخادم بمخدومه وقد يكون سببا فى تخاصم الاخوين على مالا يسمن ولا يغنى من جوع وقد يكون سببا فى تقاتل القبائل وتشاحن العشائر وفى فتنة الامم وفى خراب الدول وانى فيما أعلم لاأرى مصيبة من المصائب العظمى التى تفرق بين الجموع وتشتت شمل المتحابين والتى تصيب الامم القوية الا وللغش فيها اليد الباطشة والقدم الثابت ولذلك تبرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الغاش ونهى كل طائفة من الطوائف عن كل عمل يكون الغش باعثا عليه ثم قال من غش أمتى ليس منى وانه لنهى شامل لجميع أنواع الغش ومشتملاته فان من له عقل يعلم به أن الأمم كالاجسام

التى لاتعيش بلا رأس وان الرأس بلا أعضاء وجوارح لا تعمل عملا نافعا وأن الطوائف فى الامم كالاعضاء وكالجوارح للجسم وأن طائفة العلماء هم عيون أجسام الامم وان كتبة المصالح هم آذانها وان الحكام هم جوارح تلك الاجسام وأن ملك كل أمة هو رأسها التي لا تعيش الا بها علمَ علم اليقين أن الغش هو المرض المهلك للأمم وانه متى تلبست به أي طائفة من الطوائف أضرت بحال الامة بأسرها ولو بعد حين فانه مامن طائفة من الطوائف الا والامة فى احتياج لأعمالها فلو تلبست أي طائفة بالغش فى عملها لاحتاجت الأمة الى من يحسن ذلك العمل من أفراد أمة أخرى ثم تعود فوائد عمله على الامة التى هو منها وهذا هو الداء الذى أضر بكثير من الامم الاسلامية

وأضر ما يكون الغش على الامم اذا تلبست به احدى أربعة طوائف طائفة الولاة وطائفة الجنود وطائفة العلماء وطائفة المرشدين فاما الطائفة الاولي والثانية فلا علم لنا بشؤون الغش منهما كيف تكون لاننا لسنا من رجال السياسة ولا من ابطال الحروب ولكن العقل إذا فكر فى ذلك يرى انه لا يكون إلا عن غلبة أغراض هوائية يكون الباعث عليها أطماع شخصية وذلك لا يكون إلا عن تحكم الاهواء فى النفوس عند فقد مزايا الحكمة والادب والعقل الصحيح والعلم النافع الذى يلزم صاحبه العمل علي مصالح أمته من طريق الحكمة والموعظة الحسنة ويلزمه تجنب الشؤون التى تنتج ضيق الفكر وفساد التصور وضعف المروءة وفقد الشهامة والاعجاب بالرأى وتمكن الغرور من من النفس الامارة وكل ذلك تقدير العزيز العليم

وما بقى علينا إلا أن نبين الغش الذى يأتى من طريق الارشاد والعلم ولا نقصد بهذا البيان إلا ايضاح الحقائق حتى لا يلتبس على أحد من رجال الطائفتين حاله الذي هو عليه ومتى تحقق الامر من نفسه كان له الخيار فى المتاب والاقلاع

وان يستبدل السيء من حاله بالحسن أو يكون مع الهالكين ومن كان هذا حاله لايبالي به الله فى أي واد هلك وان كان عليما حكيما ولنبدأ ببيان الغش فى الارشاد فنقول والله يقول الحق ويهدي السبيل

ياإله العرش يامولي الفرص	قو ايمانى وجنبني البرص
واخترم خصمى بما تختاره	من جنون أو جذام أو برص
واعتزل بى كل ذى زيغ غدا	هاجرا حتى لأعمال الرخص
إقتداء برجيم قلبه	يتقي التقوي كما يخشى المقص
واصرع المغرور واقصم ظهره	واهلك الباغين واذهب بالقصص
وارسل البازىَّ عزريل الذى	لم يفته الصيد إن رام القَنَصْ
ينشب الاظفار فيهم باطشا	شاربا تلك الدما غبا ومص
إنهم مالوا عن النور الذى	جاءنا للرشد فى خير القصص
سامع النجوى أرحنا رحمة	وأخز منهم من تغنى أو رقص

إنقسم الارشاد فى هذا الزمن الي ثلاثة أقسام أحدها ارشاد أقوام يدعون العناية باصلاح شؤن الأمة والترقى بها الي أرفع درجات المجد لتكون فى مصاف الأمم الراقية كما يقولون وهؤلاء أقوام منهم من لايتعمد الغش ولكن جهله بشؤون الارشاد ومذاهب الرشاد يجعله غاشا للأمة من حيث لايشعر ومنهم من يتعمد الغش فى غالب إرشاداته ليدرك الغاية التى يبتغيها من طريق الخدعة والتحايل بتزيين الأقوال ودعوي الحكمة والتنور فيتحايل على رزقه كما يتحايل الثعلب فى طلب القوت غير مبالي بما يصيب الناس من نتائج تضليله وتعميته فانه لا يرى سببا للاسترازاق الا زخرفة القول وان كان غير مطابق للواقع ولا موافقا للحقائق وهؤلاء هم الداعون الي الدنيا بلا عقل والسالكون مذاهب الارشاد بلا رشد والمتمسكون بحبال التعالي بلا تحفظ فمثلهم كمثل لص رأى

حبالا منعقدة الاطراف بعالى جدار منزل ذى زخرف فحمله الطمع المفتن والحرص المهلك على التمسك بحبل من تلك الحبال ليفوز بالاستشراف على ماوراء الجدار وما زال يزين لمن معه ذلك العمل حتى اتبعوه فى التمسك بتلك الحبال التى لا ينتهى المتمسك بها الا الى الهوي فلما توسطوا الجدار وكانت الحبال قد تقطعت من ورائهم وقعدت بهم قواهم عن إدراك الاطراف المنعقدة بعالى الجدار بقي كل منهم ناظرا الي الفوق تارة وأخرى مادا بصره الى منافذ الجدار غير مستطيع الوصول الى الغاية التى حملته المطامع على العمل على إدراكها ولا مفكرا فى عاقبته كيف تكون فهل ينتظر من هذا حاله إلا العوارض المعتادة التى تصيب كل جرىء لم يتحفظ من غوائل طمعه وحرصه حتى اذا جاء أجل السقوط كان كمن خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق وهل من خاطف أسرع من نسر المنايا وهل من مكان سحيق أضيق من القبر وأوحش من ظلمته وهل من تعيس أتعس ممن ملأ آفاق الارض كلاما ما أرشد ضالا ولا أصلح فاسدا ولا أنقذ أمة من ورطاة أوحالها وما كان له من نتيجة الا التلهى عن الدين وفساد أخلاق الرجال والنساء من الذين نسميهم المسلمين الآن وكان الله بعباده خبيرا بصيرا

والقسم الثانى إرشاد رجال اتجهوا بمن اتبعوهم الى غاية محمودة ومطلب سام ولكنهم لم يكونوا من الخبراء الذين وصلوا الى تلك الغاية ثم انتصبوا للدلالة عليها وما أحاطوا بمفاوز الطريق الموصلة الى تلك الغاية علما ولا بعقباتها الا من طريق السماع فكلما حاولوا الرحيل من عقبة الى مفازة وجدّوا فى المسير وظنوا انهم وصلوها عند الصباح وجدوا أنفسهم فى المكان الذى فارقوه مساء فمنهم من يعلم ذلك فيرجع على نفسه بالعتاب ومنهم من تشتبه عليه المعالم فيتوهم قرب المزار وهؤلاء هم الذين يعاملهم الله بنواياهم فمن كان منهم من أهل الرياء التحق

بالقسم الاول ومن كان مخلصا ربما قبله ربه واصلح أعماله والله لايضيع أجر من أحسن عملا

وان من أهل هذا القسم لأقوام ماتحققوا بأحوال السالكين ولا ذاقوا مشارب الواصلين وما كان لهم من قدم فى طريق الارشادالى تلك الغاية العظمى التي ضربت أعناق الطالبين دون الوصول اليها ولا أذنوا بالارشاد من خبير موثوق بصحة إذنه حائز للشروط التي اشترطها فى الارشاد العارفون بل تمسك فى عمله الارشادي بقول الاقدمين علامة الاذن التيسير وذلك هو الغلط البين بل ربما كان ضلالا وتضليلا وعملا شيطانيا وكان إثمه أكبر من نفعه وذلك لان التيسير للاعمال قد يكون عن محبة ورضوان وسببه تعلق إرادة الله سبحانه وتعالى بظهور عمل صالح من عامل تقي لا يصلح لذلك العمل فى ذلك الوقت غيره وماخلق الا للقيام بذلك العلم

ومنه مايكون عن سخط واستدراج وسببه تعلق الارادة بصدور عمل غير مقبول من شقي لا يصلح للقيام بذلك العمل فى زمنه سواه وما خلق الا للقيام بأمثال ذلك العمل فالعاقل الادوب والحكيم المهذب هو الذى ينظر فيما أقامه الله فيه بعين البصير المتأمل ويزن حاله بالموازين الشرعية ثم يقارن عمله بأعمال الأدباء حتي يتبين أمر التيسير ويتحققه من أى طريق هو وان لم يكن من رجال الموازنة الادبية فليأتمر بقوله تعالي (فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لاتعلمون) وما على طالب السلامة من عار اذا سأل عن سبيلها

ولقدوقع كثير من أهل الزيغ فى مهلكة هذا الخطأ حيث توهموا أن مساعدة الاقدار لهم على التطاول فى التضليل والتمادي فى ظلمات الزيغ والتأويل هى من قبيل التيسير الذي هو من علامات الاذن وليس الامر كما ظنوا وما كان ذلك الظن الا من قبيل الاستدراج ولو أنهم كانوا أدباء أو حكماء أو علماء أو عقلاء

لعلموا أنه لا يصدر عمل فى الكون من أعمال الخير والشر إلا باذن من الله وتيسير أما التيسير فيشهد به قوله تعالى (كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا) وأما الاذن فيشهد له قوله تعالى (إنما أمره إذا أراد شيأ أن يقول له كن فيكون) وحاشا أن يكون فى الكون شأن من الشؤون بلا إذن ولا تيسير ولكنه لا تساوى بين إذن السخط والاستدراج كقول الله سبحانه وتعالي لابليس لعنه الله (إذهب فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا) وبين إذن المحبة والاصطفاء كقوله جل شأنه لموسى عليه السلام (إذهب الي فرعون انه طغى) وهل شقى فى الكون شقى الا بعلم وعمل وهل سعد سعيد الا عن علم وعمل وهل كان علم أو عمل بغير اذن من الله وتيسير كلا والله لا يكون ذلك أبدا ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون

وماجئنا بهذه الجمل البيانية فى هذا المقام الا ليعلم العقلاء ان مساعدة الاقدار فى وقت من الاوقات لشخص من الاشخاص الذين لا تنطبق شؤونهم على الآداب الدينية ماهى الا مساعدة استدراج وسخط كما يعان اللص على أعماله والقاتل على جنايته وكان أمر الله قدرا مقدورا وهذا مصداق قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه إعملوا فكل ميسر لما خلق له

فالأولي للمرشد الديني الذى يريد أن يخلص للحق سبحانه وتعالى فى أعماله أن لا يعد عمله إرشادا الى الغاية التى أمات المجاهدون نفوسهم فى طلبها فانها غاية ما توفرت شروط التوجه اليها فى فرد من أفراد هذا الزمن المتلبسين بهذا العمل المبرور وليس فى الوقت زمان ولا مكان يسع من يريد أن يعمل على ادراكها اللهم الا أن تكون جذبات رحمانية ونفحات احسانية تخطف أقواما يرونا من حيث لا نروهم والله على كل شى قدير

وهل على المرشد العاقل من سبيل اذا عد عمله من قبيل الامر بالمعروف

والنهى عن المنكر واقتدي بقول ذى النون المصرى رضى الله عنه فيما حكاه بعض الصالحين فقد قال كنا عند ذى النون المصرى فتذاكرنا المحبة فقال كفوا عن هذه المسألة لكيلا تسمعها النفوس فتدعيها

وتلك الغاية لا يسلك اليها السالكون الا من طريق المحبة وما من مدع لها الآن يستطيع أن يقيم على دعواه برهانا لانها هى الموصوفة بقول القائل

طريق لحد السيف لله درمن   يكون على حد السيوف ذهابه

ولقد أحسن من قال

فيادارها بالخيف أن مزارها   قريب ولكن دون ذلك أهوال

والقسم الثالث عمل أناس سفهاء من أهل الزيغ زاحموا العلماء وجادلوا الفقهاء واتبعوا سنة أسلافهم الذين ظنوا أن الشرائع عمل من أعمال العقول وان الشرع تابع للعقل فحكموا أفكارهم فى كتاب الله الحكيم وفيما دونه العلماء من الاحكام الشرعية وفيما اعتنقه الامناء من الاداب الكمالية ثم خالفوا ذلك الطريق القويم وعكفوا على ما حسنته لهم الظنون واخترعته الاوهام وزينته لهم النفوس الضالة الامارة وسموه فلسفة طبيعية ودعوا الناس اليها من طريق الطعن على العلماء والانكار على الأمناء والادباء فمالت نفوس العوام وراءهم إلى التخلص من قيود الاداب الدينية والكمالات الادبية واستحسن سلوك سبيلهم السفهاء الذين لا يصومون ولا يذكرون الله لا قليلا ولا كثيرا والذين يقولون ان الانسان حر لا ينبغى أن يتقيد بقيد من القيود وقد أنزلوا نفوسهم بين العامة منازل المعلمين وقعدوا فيهم مقاعد المرشدين حتى ألبسوا الحق بالباطل ودسوا السم للناس فى الدسم وقد تعودوا النقائص وتخلقوا بأخلاق الشياطين واستكبروا على عبادة الله وتهاونوا بأوامره ونواهيه وظنوا أنه لا حساب ولا عقاب وقد عم الخطب وعظم المصاب وما الله بغافل عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار

ولقد كان الغش فى ارشادات هذه الطائفة سببا لارتكاب الناس الكبائر واقتحامهم لجج المنكرات ووقوفهم موقف الحيرة بين الدين والدنيا فما حصلوا من دنياهم مايجعلهم فى مصاف أهلها ولا اكتسبوا من الدين مايرزقون بحسن الخاتمة عند الموت ولا السلامة من غضب الله وعذابه فكان مثل أولئك الضلال مع أهل الارشاد النبوى وهم السلف الصالح من أئمة الدين ومع أهل هذا الزمن الذين هم أحوج الناس الى متابعة المهتدين الذين جعلهم الله رحمة لعباده كمثل فساق الفقراء الذين تمرنوا علي ارتكاب الفواحش ومعانقة الملاهى ولكن الفقر المدقع قد حال بينهم وبين مايشتهون فما علموا من حيلة يعملونها الا أن يخدعوا أبناء الاغنياء بتحسين مادأبوا عليه من الفسق وتزيينه لهم فحببوا اليهم الملاهى وحسنوا لهم الفسق والاسراف وقبحوا لهم عمل آبائهم من الحجر عليهم وحجزهم عن مواطن الفسق ومواقف الفجور وقد كان للشبوبية حكم فى أخلاق أولئك الشبان فأساؤا الظن بآبائهم الذين هم أشفق الناس عليهم وأبر المرشدين بهم بعد ماحسنوا ظنونهم بأولئك المضلين وكان من أسباب تحتم شقائهم قرب منية الآباء فما مضي الا القليل من الزمن وقد ساووا فى الفقر المحتالين أو فاقوهم فى الفسق والفاقة وسوء الحال وكان أمر الله قدرا مقدورا

ولقد سري غش أولئك المرشدين فى جوارح الامم الاسلامية وفى أعضائها وفى غالب أجزاء تلك الاجسام التى كانت قوية سالمة من العلل والأمراض سريان السم في المقاتل ففقدت الحيوة التى بها تعيش الامم وما هى الا الآداب الكمالية التي اذا تحقق بها الوضيع أصبح رفيعا واذا هجرها الرفيع صار عند الله وضيعا ثم فقدت مزايا الاحساسات الاسلامية التى يشير اليها قول رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل المؤمنين فى توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر ذلك بأنهم تركوا ماكان

عليه آباؤهم وأسلافهم الاخيار من الصلاة والمواصلاة والاخلاق الطاهرة وشعائر الشهامة والهمم والمروءة ومالوا وراء أولئك المرشدين الى ماهم عليه الآن من التباغض والتحاسدفتفرقوا شيعا وتشتت شملهم وفشلوا وذهبت ريحهم وكان الله بعباده خبيرا بصيرا

واعجبا لأولئك المرشدين فى أعمالهم المتضادةوأقوالهم المتناقضةوأحوالهم المتضاربة ومع ماهم عليه من تلون الاحوال وتباين الاعمال والأقوال لاترى العوام إلاشاهدين لهم بالمهارةوالزكاء وانهم هم المصلحون وإنهم والله لمفسدون فأما تضاد الأعمال فانهم ربما عملوا عملا من أعمال النوافل التى لايعاقب الانسان على تركها ويزعمون أنهم يريدون بذلك العمل التقرب الى الله ثم هم لايميلون الي أداء الفرائض التى كلف الله بها عباده المؤمنين ونادى فيهم بقوله ماتقرب الي عبدى بشيء أحب الى من أداء ما افترضته عليه فهل ترك من الجهل شيأ من يفعل النوافل ويترك الفرائض التى من لم يؤديها يسمى عند الله عاصيا بل ربما حقت عليه كلمة العذاب فمات كافرا

وأما تناقض الأقوال فانهم فيما بين الناس يعظمون أمر الدين وشؤون النبوة ولا يذكرون الانبياء الا بخير ثم هم يكذبون الرسل اذا مااعترضهم قول من أقوال النبوة يخالف ظنونهم التى هم عليها عاكفون مع علمهم بأن الرسل لاينطقون عن أهوائهم ومع علمهم بأن الظن لايغني من الحق شيأ وأن الله لايهدى القوم الفاسقين الذين يكذبون الرسل ويلحدون فى آياته

وأماتضارب الاحوال فانهم فيما بينهم وبين الناس أهل خشية وايمان وقول حسن وفيما بينهم و بين بعضهم فساق مجرمون فمثلهم كمثل الذين عناهم الله بقوله واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الي شياطينهم قالوا إنا معكم انما نحن مستهزؤون الله يستهزيء بهم ويمدهم فى طغيانهم يعمهون

والعجب كل العجب من جهل أهل هذا الزمن باداب الدين وعدم تمييزهم البار من الفاجر وفى أيديهم كتاب الله الحكيم الذي بين فيه المؤمنين بذكر أوصافهم وأعمالهم وشرح فيه شؤون المنافقين وبين فيه الاخلاق المحمودة وأمر بها وبين الاخلاق المذمومة ونهى عنها كما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ماترك شيأ الا وبينه وعرفنا حال الاتقياء وشؤن الاشقياء وهذه أحاديثه الشريفة قد ملأت مدوناتها خزائن المساجد والمساكن كما أن مدونات أمناء الامة قد نشرتها المطابع وصار اقتناؤها ميسورا لكل ذى عقل يحب أن يسلك سبيل النجاة ولكن الشقاء المحتم والقضاء المبرم قد صرف قلوب الناس الى مطالعة الجرائد والخرافات التى يسمونها روايات من حيث لم يعلموا أن ذلك عمل من علامات الجنون ومن مقدمات الشقاء ومن ضروريات الجهل المهلك ومن أسباب الحماقة والسفه إذ لايجوز لعاقل جلس بين رجلين أحدهما مازح مضحك والثانى ناصح مبكى أن يعرض عن الناصح ويقبل على المازح اللهم الا أن يكون ناقص العقل والدين أو صبيا لم يبلغ درجة التمييز لان ذلك ليس من عمل العقلاء وهل هناك فارق بين الروايات الخرافية أو ماتأتى به الجرائد من الاخبار وبين ماتلقيه النساء بعضهن لبعض في مسامراتهن الليلية وهل لرجل يعلم أنه فى قبضة قوى قادر وجبار قاهر تحمله الليالى والايام اليه قهرا حيث لايستطيع أن يتفلت أو يتقهقر الي الوراء حتى اذا قطعت به الايام مراحل حياته جاءه فردا وفعل به ماتفعل الملوك بعصاة العبيد ان كان مخالفا له أو أكرم نزله ان كان طائعا أن يتلهى بتلك الخرافات عن رسائل ربه التى جاء بها الكتاب الحكيم والرسول الكريم متابعا لاقوام سفهاء غضب الله عليهم ورزقهم العلم وسلبهم العمل وآتاهم أقوالا حسنة وألبسهم أحوالا سيئة ان هذا والله هو الضلال البعيد

أيها العقلاء ما كل بيان إرشاد ولا كل متكلم مرشد انما الارشاد الحق

هو الدلالة على الله إما من طريق الامر بالمعروف والنهى عن المنكر من طريق البيان النبوى الذي بينه رسول الله صلي الله عليه وسلم وكان هو أسلم طرق المرشدين الآن لان الزمن لا يسع غير هذه الطريق لمن أراد أن يرضى ربه

وإما من طريق الصفاء والمحبة وهى الطريق التى سلكها أكابر رجال القرون الماضية من أهل المجاهدات ورجال الاختصاص الذين اختطفتهم أيدى الجذبات الرحموتية

فأما الطريق الاول فهى التى عليها أتباع الصوفية اليوم وهم القوم الذين يذكرون الله ويسبحونه عملا بقوله تعالي (ياأيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا هو الذى يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات الى النور وكان بالمؤمنين رحيما) وما رحمته بالمؤمنين الا أن يقبلهم إذا ذكروه ويستجيب لهم اذا دعوه وينظر اليهم اذا شكروه مهما كانوا جهلاء بمواقع الحكمة والادب مادامت المقاصد حسنة والنوايا صالحة

ولكن فريقا من المرشدين الضلال وقفوا فى طريقهم مقبحين لاحوالهم وماقتين لاعمالهم فكان مثلهم كمثل الجار السوء الذى لاعمل له الا اغراء السيد بعبده المخلص سليم النية الذى يأتى من أوامر سيده بما يستطيع غير أنه لم يتعلم اتقان العمل حيث لا يدري ذلك الجار الظلوم أهو ممقوت عند ذلك السيد بسبب وقوفه موقف الاغراء بينه وبين عبده أم مقبول وربما كان السيد راضيا عن عبده قابلا لعمله لصلاح نيته وحسن مقاصده وسلامة طويته فقد تقبل الملوك دجاجة الفقير الابله يهديها اليهم طمعا فى عطاياهم ولا يقبلون من الاغنياء المال الكثير وما عاب أولئك الضلال هؤلاء المرشدين الا بدعوي أنهم لم يذكروا الله ذكرا شرعيا فمنهم من يقول أن الذكر بالاسم المفرد ليس بجملة مفيدة ولا بكلام تام ومنهم من يقول أنهم يذكرون بلفظ آه وما هو باسم ومنهم

من يقول أنهم يهتزون والاهتزاز تلاعب الي غير قليل من الاراجيف التي أرجف بها الزائفون الذين يمنعون مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وما أولئك بالمؤمنين

فأما العيب الأول فما صدر الا عن جهل وعناد وزندقة شيطانية لان القائل بذلك لو كان من المؤمنين لما عد ذلك عيبا إذ الذاكر ماهو بمتكلم ولا بمناج حتى يشترط أن يكون مايتفوه به كلاما تاما أو جملة مفيدة وإن المذكور لاعلم بحال الذاكر من نفسه وما ثمرة الذكر المقصودة منه الا تفرغ القلب عن الاشتغال بغير المذكور وهذه نتيجة قل ان تدرك بغير الذكر بالاسم المفرد لانه لامعنى لتكرار ذكر الاسم الا اعتقاد وحدانية مسماه وتثبيت القلب عليها ولذلك اختار هذا الذكر الكثيرون من أهل الذكر ولو أن أهل القرون الثلاثة الذين هم خير القرون كانوا محتاجين لما يثبت قلوبهم على التوحيد لما ذكروا ربهم الا بالمفردات من أسمائه ولكن شعشعة أنوار النبوة التي ملأت قلوبهم لقرب ذلك العهد أغنتهم عن ذلك الذكر وأغناهم الوجد عن التواجد ولكن أكثر الناس لايفقهون

وأما العيب الثاني فمصدره دعوى افتتان ووسوسة شيطان وذلك لان الذكر من حيث ماهو ذكر ماهو الا عمل قلبي حقيقته توجه الذاكر الي المذكور محبة وافتقارا وحنينا والمتأوه لاشك أنه أشد ذكرا لمن تأوه له من غيره ولذلك سماه السادة الشاذلية إسم الصدر لان التأوه لايكون الا من قلب مشوق أو محزون أو خائف أو ملهوف أو مشتكي وربما كان من أرباب القلوب من ينطوي قلبه على هذه المواجع بأجمعها فكيف لايكون ذاكرا وكيف لا يكون هو أكرم الذاكرين على الله سبحانه وتعالى سيما وقد قال كثير من العلماء أن آه إسم من أسماء الله تعالى فليتق الله كل معترض ومنتقد وليعدّ نفسه

منَ الكسالي أو المتكبرين الذين لايذكرون الله الا قليلا

وأما العيب الثالث فما هو بعيب الا فى نظر العوام الذين لايعلمون حكمة ذلك الاهتزاز فان السادة المتقدمين ماسنوا ذلك التمايل والاهتزاز للذاكرين الا لما علموه من قول ابليس لعنه الله لربه (ولآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين) فهم يميلون يمينا وشمالا لطرد ذلك اللعين عن قلوبهم من تلك الجهات وهكذا الي الفوق والتحت والامام والوراء ولا عار عليهم إذا هم رقصوا عند سماع قول القائل

إذا اهتزت الارواح شوقا الي اللقا   نعم ترقص الاشباح ياجاهل المعني

فويل لمن كان حظه الانكار وويل لاهل العناد والاصرار وويل ثم ويل لمن لم يزدرى الا الفقراء ومن يعترض الا الضعفاء وهل من ضعيف أضعف منمن دعته قوة ايمانه لان يلتحق بعباد الله الصالحين وما وجد طريقا يسلكه سوي هذا العمل الصالح وما أعطاه الله قوة العلم بمفاوز الطرائق التى سلكوها وما وجد فى الزمن وسعة للتفرغ لان يتعلم فاختار التحكك فى أهل الذكر لتثبيت ايمانه والمحافظة على قوة يقينه فقابلته شياطين الاعتراض والانتقاد فصيروه من أمر دينه وإيمانه فى شك مريب وما مثل هؤلاء الضلال مع العوام فيما يقبحون فعله من أعمال المرشدين لهم الا كمثل نمرود رآى صبيا يتابع جيرانا له وقد ضل عن منازل آبائه فى بادية متشعبة الطرق فقال له ذلك العفريت إنك لاتدرك ديار أهلك الا اذا ركبت جملا أو فرسا ولحقت بمن سبقوك فقعد ذلك المسكين مكانه منتظرا مرور جمل أو فرس حيث كان المكان ماهو بمناخ جمال ولا مربط خيل وما كان الصبي صالحا لان يمتطى جوادا أو جملا والله لايحب المفسدين

وانا ان نادينا المرشدين الذين عابوا المتصوفين وسلكوا بالناس سبيل التضليل قائلين ياأكنة سهام المطاعن الجدلية ويا كنوز تلك الكلمات التضليلية

إن الحق سبحانه جل شأنه وتقدست أسماؤه لايحب الجهر بالسوء من القول ولقد فاقت مطاعنكم المنتشرة فى الآفاق نهاية الجهر وأصبحت أنكر من أصوات الحمير وما حملت جياد جدلكم الا تمويها باطلا ولا ألقت الا بهتانا من القول وزورا تقاطمون به بين السلف الصالح وبين ضعفاء العوام الذين أضرت زخارف أقوالكم بعقولهم القاصرة وأفكارهم الضعيفة وما ظنوكم الا أمناء ولا توهموكم الا حكماء وأدباء وما خلق الله سبحانه وتعالى فى هذا الزمن من هو أسوء منكم أدبا ولا أجرأ منكم على عظيم جنابه وما جعلكم الا حاجزا بين عباده وبين أبوابه وأعتابه فاتركوا الناس يترامون على أعتاب ربهم فقد أضر بهم الاباق وأحاطت بهم بسببكم البلايا التى لا تطاق وقد قاربوا أن يكونوا كفارا وهنالك لن يجدوا لهم من دون الله وليا ولا نصيرا

لقابلتنا قرائن أحوالهم وسيآت اعمالهم بقول الاقدمين

(قالوا للجمل زمر قال لا شفعة متلاصقة ولا أصابع متفرقة) يعنى ان الله سبحانه وتعالى مارزقهم التوفيق ولا أرشدهم الى أقوم طريق (من يهدى الله فهو المهتدى ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا)

وهنا وقفت فى مواقف الحيرة باهتا وقلبي فى اضطراب والقلم فى ملل ومحبة العلم وأهله تدعونى لعدم التعرض لذكر معايب الغش الذى يصدر من العلماء ونفسى تأبى السكوت عن ذلك ولا أجد فى عزيمتى صبرا على التغاضى وقد صار لي حال مع قلبي لا يمثله الا قول القائل

ألیس وعدتني ياقلب أنى ... اذا ماتبت عن ليلى تتوب
فها أنا تائب عن حب ليلي ... فما لك كلما ذكرت تذوب

وهنالك وردعلى وارد يدعونى الى الاسترسال فى البيان قائلا إن المحب اذا لم ينصح حبيبه كان له عدوا مبينا فلذلك أقول

ياقوائم الدين القويم ويادعائم الآداب الكمالية ويأركان الشريعة الغرا ويامعالم بنيان النبوة ويا أعلام طريق النجاة ويأبواب حصن لاإله الا الله وياحجاب الحضرة الالهية من طريق الوراثة النبوية ويامظاهر نعمة الله التي أنعم بها على عباده وامتن بها عليهم فى قوله (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا)

انكم لتظنون أنكم أشرف الناس أحوالا وأحسنهم أعمالا وأصدقهم أقوالا وأنكم أقرب المؤمنين الى الله منزلة وأرفعهم عنده درجة ولكن السواد الاعظم من الناس يعتقد ماينافى ذلك وان منهم لمن يقول بانكم أصبحتم بما أنتم عليه الآن فرعا من فروع الادارة السياسية ثم يزعمون أنكم أقل الفروع ثمرة وأضعفها منفعة وأضيعها فائدة وأنكم أصبحتم كعلماء بنى اسرائيل الذين قال لهم عيسى عليه السلام لقد قعدتم على طريق الجنة فلا أنتم تسلكونها ولا تتركون الناس يجوزونكم اليها وأن حالكم أصبح منطبقا على قول القائل

اذا العود لم يثمر وان كان شعبة تنتيه المبانى اتخذه الناس في الحطب

فهل من برهان ينافى هذه الاعتقادات التى تسر العدو وتسيء الحبيب وهل من عمل صالح يثبت لكم نسبة فضيلة العلم وهل من حال شريف يحوّل قلوب الناس عما يعتقدونه فيكم من الجهل بالدين الى ظن حسن أو اعتقاد جميل

أيها السادة ان اسم الجنة أخف الاسماء على ألسنة الطامعين وانها لأقرب الاشياء الي مقاصد الطالبين ولكنها كما قال القائل

قلت لأصحابي هى الشمس ضوءها قريب ولكن فى تناولها بعد

وماذلك إلا لانها هى الملك الذي وصفه الله بانه الكبير فى قوله جل شأنه لنبيه (واذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا) وانكم لتعلمون أنها دار الأدباء ومقر الأتقياء الأمناء وما منكم من أحد الا ويعلم أن العلم بلا عمل أضر على

صاحبه من الجهل كما انكم تعلمون بلا ارتياب أن العمل الذى لم يصحبه الادب مردود على صاحبه أياما كان ذلك العمل أعنى صلاة كان أو صوما أو زكاة أو حجا أو طلب علم أو تعليما أو غير ذلك من أعمال البر كما أنكم تعلمون بنص القرآن أن ثمرة العلم الخشية وما أظنكم تجهلون ماهى الخشية وما آثارها فى الخاشعين من أهلها كما انكم تعلمون أن طلب العلم المفيد يحتاج الى نية صالحة صافية وأنه متى فسدت النوايا فسدت الأعمال كائنة ما كانت كما أنكم تعلمون أن الله سبحانه وتعالى ماأهلك أمة من الامم الا بأعمال علمائها بدليل قوله تعالي (كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه) وقوله (أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون) وقوله(سماعون للكذب أكالون للسحت) وما كان الا ماياخذونه باسم الدين وماكانوا بمهتدين وانكم لتعلمون أن الله تبارك وتعالي ماجعل فى أجسام الامم عضوا عاملا أشرف من طائفة العلماء فهل من عمل صالح نستبين به طهارة قلوبكم ونزاهة نفوسكم حتى نعلم أنكم أصلح الناس عملا وأهداهم الى الاصلاح سبيلا

أيها السادة انما نحن وأنتم فى النسبة للدين سواء وانا لنعلم علم اليقين أن للدين أدابا مهجورة وان نقائص البدع قد تعالى فى الناس شأنها و ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال إذا ظهرت البدعة وسكت العالم فعليه لعنة الله وكثيرا ما نسمع من الآيات القرآنية والاحاديث النبوية مقت العالم الذي لم يعمل بعلمه والعالم الذى لم يفد الناس علمه فائدة فى دينهم وقد ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلا للعلم والعلماء بقوله (مثل مابعثنى الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضا فكانت منها طائفة قبلت الماء فأنبتت الكلاء والعشب الكثير وكان منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله به الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا وأصاب منها طائفة انما هى قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلاء فكذلك من فقه فى دين الله ونفعه الله بما بعثنى به

فعلم وعمل وعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأسا مثل القيعان التي لم تمسك ماء ولا أنبتت كلأ») وانه لمثل عام يسري مفهومه في جميع القرون الاسلامية حتى تقوم الساعة

فيأيها السادة اذا كان الأمر كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وكما جاءت به آيات القرآن الحكيم كنتم أسوأ الناس حالا ومآلا وكنتم اما مصدقين وحكمكم في الشقاء حكم الذين أشار اليهم الحق سبحانه وتعالي بقوله (ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون) وان كنتم مكذبين وكان الامر بخلاف ذلك وكان الدين على غير مانعلم فلم لم تعلنوا ماعلمتم من الدين بصريح المقال حتى يستريح المحزون الذي يسوءه حالكم وحتى لاتتوجه اليكم المطاعن وحتى لايحتقركم الناس احتقار العصاة والمذنبين

أيها السادة انكم الآن لمرتكبون أنواع الغش التي أضرت بحال الامة ضررا بليغا فان تركم الامر بالمعروف والنهي عن المنكر غش وطلبكم الدنيا بالدين غش وتعظيم أمر الدنيا والتهاون بأمر الآخرة غش والتزيي بزي العلماء مع اتصافكم بأوصاف الجهلاء غش وهجرانكم آداب الدين ان كنتم تعلمونها غش وتملقكم للاغنياء غش ولكنه من أضر أنواع الغش لانه يذهب بثلثي دينكم ويحقر الدين وأهله في أعين الذين تتملقون اليهم وما من عمل يغضب الله تعالي أصعب من تملق العالم لاهل الدنيا

أيها السادة ان الله تبارك تعالي جعل للدنيا أبناء وللآخرة أبناء وجعلكم أبناء الآخرة وما اختار لها دعاة غير العلماء وانه سبحانه وتعالى ليفرح بأبناء الدنيا اذا تقربوا من أبناء الآخرة وعملوا بعملهم أو تخلقوا بأخلاقهم ويغضب كل الغضب على أبناء الآخرة اذا هم تشبهوا بأبناء الدنيا وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا جيفة وطلابها كلاب وقد حقر الله سبحانه وتعالي

الدنيا وضرب لها أمثالا لا يستطيع أحد تكذيبها بوجه من الوجوه وما نرى منكم عالما ولا طالب علم الا والدنيا نصب عينيه وفى سويداء قلبه والشيطان آخذ بناصيته اليها والعلم يمقت ذلك فهل يكون ماتتناولوه من المرتبات التي جعلت للعلماء الا سحتا وما ذلك الا لان حالكم يخالف حال العلماء وما كان انتسابكم للعلم الا غشا فحاسبوا نفوسكم قبل أن تحاسبوا وعاقبوها قبل أن تعاقبوا وزنوا أحوالكم وأعمالكم بميزان العلم الصحيح لتعلموا أى طريق سلكتم فانكم ماسلكتم سبيل أهل الايمان ولكنكم سالكون سبيل المرتابين وقد قاربتم أن تكونوا من المكذبين

أيها السادة انا والله نود أن نتشرف بتقبيل أقدامكم ومحمل نعالكم ولكننا نخاف غضب الجبار اذا نحن خالفنا قوله تعالى (ولا تركنوا الي الذين ظلموا فتمسكم النار) وهل من ظالم أظلم لنفسه ولغيره من عالم يظن الناس به خيرا وهو عند الله محسوب من الأشرار وهل من ظالم أظلم لنفسه ولامته من العلماء الذين يقولون بألسنتهم ماليس فى قلوبهم فتكون لهم أقوال حسنة واحوال سيئة وقد علموا أن العالم اذا خالف مقاله حاله كان غاشا وكان ضرعلى أمته من الشياطين فلذلك أحببنا التباعد عنكم حتى لا يلحقنا الخبال الذى صيركم مضغة بين اضراس الشامتين وفى أفواه المعترضين نسأل الله لنا ولكم السلامة فى الدين

ياطالب العلم النفيس ان للراقصات أزياء وللمخنثين أزياء للزمارين وللضاربين بالدفوف أزياء وللمغنيين أزياء وللسفلة من الناس أزياء ولأهل الأدب والعلم أزياء وقد اشتبهت على الناظرين ازياء طلبة العلم حتى كاد الناظر اليهم أن لا يفرق بينهم وبين من ذكروا وقد وصف الله سبحانه وتعالى أهل الايمان بمثل قوله (سيماهم فى وجوههم من أثر السجود) وقوله (تعرفهم بسيماهم) وقد نادي عليكم منادى الصحافيين انكم رجال المستقبل أي علماء القرن المقبل ولا يشك أحد فى أن من شب على شئ شاب عليه وإنا لنرى ان ازياءكم ليست بأزياء الأدباء وسيماكم

ليست بسيما الفضلاء واغاهي أزياء يتبرؤ منها الدين وتحزن لرؤيتها عقلاء المسلمين فهل لكم أن تتخذوا الى الكمالات الأدبية طريقا تسلكونها حتى تكونوا فى أعين الناس كما كان طلاب العلوم من قبلكم وحتى يتميز طالب العلم من المطيب الذي يرغب مجامع اللاهين فى سماع من استأجرته من المغنيات ليحسن للناس حالها

ياطالب العلم النفيس ان الله تبارك وتعالي لايؤتى العلم الا لرجلين الواحد رجل أراد به خيرا فرزقه العلم والعمل وجعله هاديا مرشدا يعلم المؤمنين ماأنزله الله عليهم من الكتاب والحكمة

والثانى رجل أراد به الله شراً فعلمه ليكون شيطانا مضلا فسلب منه العمل وسلط عليه الجدل وعلامة الأول أن يكون على حال محبوب يحبه الله وتحبه الملائكة ويحبه الاتقياء من الناس وأن لايكون معجبا بنفسه ولاعائبا لغيره وأن يكون أكبر همه العمل على مرضاة الله تعالى ومتابعة رسوله

وعلامة الثانى أن يكون معجبا بنفسه مفتونا بما أوتى من العلم وأن يكون على حال لايحبه إلا أهل الحجب الشهوانية التى حالت بينهم وبين أعمال السعداء شهواتهم وأغراضهم الهوائية فزن نفسك أيها الطالب بميزان الاداب الدينية لتعلم الفريق الذى أنت منه فان كنت من الذين أضلهم الله على علم فلا تكن مفتونا بتحسين ما أنت عليه من الشقاء والضلال البعيد واياك أن يغلب الشقاء عليك فتخطئ فى الموازنة فتظن انك على حال حسن فتهلك ويهلك معك اناس كثيرون وتلتحق بمن كان قبلك من الضالين وان وجدت نفسك متابعا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فاحمد الله سبحانه وتعالى واشكر فضله واسترسل فى عملك فانك من الناجين

ياطالب العلم النفيس ان العلوم لكثيرة قل ان تحصى عدداً ولكنها تنقسم الي قسمين قسم يحتاجه المتعلم لاصلاح أمر معيشته فى الدنيا وتلك فنون لااحتياج لها فى الاخرة ولايستصحبها متعلمها الا الى مرض الموت وهنالك تذهب بها

دهشة المرض وغمرات المنية ولا تبقى مع العالم بها الا تبعاتها

والقسم الثانى علوم يحتاجها الانسان لاصلاح أمري الدنيا والآخرة وتلك العلوم هى التي تدوم ثمراتها ويحتاج الانسان الى استصحابها فى كل موطن من مواطن القيامة حتي عند الموت وصاحب القسم الأول هو الذى اذا قابل ربه يوم القيامة ووجد نفسه جهولا (قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا * قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى) وصاحب القسم الثانى هو الذى كلما أدرك مفازة من مفاوز آدابه الكمالية نادى (ألحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله) فاتق الله أيها الطالب فى نفسك واعمل على نجاتها ولا تتجر إلا في متاجر الربح حتى لا يكون علمك وعملك حسرة عليك عند الممات وفى عرصات القيامة وما هي الا أيام قلائل وتلتحق بأهل الغرور والاعجاب الذين كانوا قبلك على حال من الطيش والافتتان عظيم

ياطالب العلم النفيس الذي طلبه لأن يكون قاضيا أو معلما لقد تحملت ثقلا من الوزر عظيما وضيعت أجرا مضمونا لإدراك نتيجة موهومة فلعل جازر الموت أن يلوى عنقك قبل أن تبلغ ماأملته فلاتلاقى الا حسرة فوت وندامة موت أو ربما عشت زمنا طويلا وما ساعدتك الحظوظ المقسومة على ماتبتغى وهب أنك رزقت عمرا طويلا وكنت فى أرفع المناصب حتى جاء أجلك وأنت تصابح العمل وتماسي الأمل وقد أدبرت دنياك بما فيها وأقبلت أخراك بدواهيها وما بعد الموت من يحاييك أويدفع عنك كربة أويلقنك حجة وماوجدت لك بين الأدباء منزلة ولاعلمت لك فى الجنة مكانا لاشتغالك عنها بما لو لم يزل عنك لزُلتَ عنه قهرا مكرها فان كنت مكذبا بما بعد الموت كان حكمك حكم عباد الوثن وكنت خائنا غاشا منافقا لانك لاتعيش الا بالدين وأنت من أعداء الدين وان كنت مؤمنا بما بعد الموت ولم تعمل لآخرتك كنت أخسر الناس صفقة يوم القيامة

فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أخسر الناس صفقة يوم القيامة من باع آخرته بدنيا غيره وما من جامع مال الا وهو عامل لغيره فانه لا يدرى لمن يؤول ماله بعد الموت ولو أنك طلبت العلم لتعمل به ولتتعلم كيف ترضى ربك وكيف تعامل عبيده وكيف تتخلص من أوحال حياتك ثم أوكلت أمرا لا رزاق الى من شق الاشداق لكان خيراً لك فلا تكن كالبهيم الذى يعيش ليعمل ويعمل ليعيش حيث لا يميز العمل الضار من النافع ولا تكن فاقد الفكر فتكون حماراً

ياطالب العلم النفيس ان صنعتك أشرف الصنائع وحرفتك أفضل الحرف ولكنك فى أعين الناس أتعس المحترفين وأخس الصانعين وما ذلك الا لأن كل ذى حرفة ما كابد عملها الا وهو عامل على ادراك الغاية التى يوصل اليها ذلك العمل والموضوع الذى وضعت له تلك الحرفة أما أنت فقد جهلت الغاية التى توصل اليها أعمال حرفتك وبدلت الموضوع الذى وضعت له تلك الصنعة بموضوع محفوف بأنواع الخطر فبدل الله حالك وخيب آمالك وأفسد عليك مآلك ولكنك من الذين أخذوا وهم لا يشعرون وهلكوا وهم لا يعلمون

ياطالب العلم النفيس ان لكل طائفة من طوائف الأمم فى هذا الوجود مرتبة وجودية ذات أعمال استدعاها النظام التكوينى لا غنى للناس عنها وما من مرتبة إلا وقد قام أهلها بواجباتها وأتقنوا أعمالها وما من فرد من أفراد أى طائفة إلا ويتمنى أن يكون هو أمهر عامل فى أعمال المرتبة التى نيطت طائفته بها وما كانت مرتبتك فى الوجود الا أن تكون عالما بما كان عليه النبيون وأن تكون عاملا بأعمالهم وداعياً الي ما كانوا يدعون اليه وآمراً بالمعروف وناهياً عن المنكر وهاديا الى الصراط المستقيم ومرشداً الى طريق الخير بحالك ومقالك ولكنا نراك الآن هاجراً لاعمال مرتبتك العظمى وتاركا لتلك الآداب الكريمة ومزاحماً لذوى الرتب السافلة فى أعمالهم وأحوالهم فتارة نراك مع اللاهين وتارة مع الفساق

وتارة مع المزورين وأخرى مع اللاعبين وتارة نراك فى مقدمة أهل الاعجاب وتارة تزاحم أهل الجدل وتارة مع الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر وأنت فى تلك الاحوال جميعها تدعى أنك فى مرتبة العلماء ولكنا ان بحثنا حقائق أحوالك بحثاً دقيقا لا نراك ازددت عن حالك الذى كنت عليه مع أمك وأبيك أيام القاس وفقد المداس الا سفالة المزاح وجهالة الاعجاب بالملابس وسماجة التباهى بما يشابه بندور النساء من الشعر الذى تجعله على جبهتك وما استعملك العلم الا فى أنواع الموبقات ولذلك استحقرك الناس وأهانك ربك وأصبحت ممقوتاً وأنت لا تشعر فهل لك أن تتفطن لما آل اليه أمرك فتتدارك نفسك وتحفظ حقوق مرتبتك التي هى أشرف المراتب الوجودية وقد أصبح حالها معك لا يمثله الا قول زوجة الحجاج الثقفى حينما نظرت الى صورتها الحسنا فى المرآت وأنشدت تقول

وما هند الا مهرة عربية سليلة أفراس تحللها بغل
فان ولدت خلا فلله درها وان ولدت بغلا فقد جاء به البغل

يا طالب العلم النفيس ان الله سبحانه وتعالي جعل فى كل زمن مهاجرين وأنصاراً ولذلك كان طلبة علم يهاجرون من بلادهم ويهجرون أهلهم وأوطانهم وينصرون الله ورسوله اذا هم تعلموا العلم الدينى الذى حوى أوامر الله ونواهيه وجميع آداب العبادات وأحكام المعاملات وكانوا نواباً عن رسول الله فى تبليغها لقبائلهم اذا رجعوا اليهم إئتماراً بقوله تعالي (يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصارى إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله فآمنت طائفة من بني اسرائيل وكفرت طائفة فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين) فنعمت المهاجرة لطلب العلم ونعم المهاجرون الذين اذا خرجوا من ديارهم ظللتهم الملائكة بأجنحتها كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن هنالك عقبات وموانع تحول بين الطالب وبين تلك المزايا وما

هي إلا من عمل الشيطان فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ مانوى فمن كانت هجرته الي الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته الى ماهاجر اليه فهل يستوى صاحب الهمة العالية والمطلب السامى الذي ماقصد الا التودد الى ربه والتقرب اليه وأن يكون ناصراً له ولرسوله هو وصاحب العزيمة الضعيفة والقصد السافل الذى لايقصد الا أن يعيش معيشة أهنأ من معيشة أبيه وأمه

وأنى لمن كانت أمه كالأتان لاتدرى كيف تستبرؤ من بولها وأبوه مطية فى صورة إنسان وما تربى الا مع البقر أن يكون إنساناً كاملا صالحا لمجالسة من تعنوا له الوجوه وتذل له الجبابرة وتسبح له السموات والارض ومن فيهن وهل يترك الشيطان الرجيم هذا السافل وأمثاله حتى يكون من العلماء العاملين الذين ليس له عليهم سلطان وهل يؤمل الناس فيمن كان هذا حاله خيراً أو يرجون له منفعة وهو من السافلين

أيها العلماء انكم أولى الناس بحسن التصور وكمال الاحساسات ووفرة الوجدان والشعور فما لنا نراكم لاتشعرون بما استعجلتموه من عوارض المقت ومقدمات الانتقام حتى أصبحتم تعدون الازدراء تعظيما و الإهانة تكريما وتتوهمون غضب المهيمن رضواناً وسخطه محبة وقد سلط عليكم أطماعكم وحرم من نعمة السكينة والوقار أشياعكم وجعلكم سافلة بعد ما كنتم قادة فأصبحتم كالصبيان الذين لاتستقيم أحوالهم لا بزجر الزاجرين ولايتحاشون النقائص إلا اذا نهرهم الناهرون ونهاهم الناهون فتفطنوا ارحمكم الله لسيئات أحوالكم لعلكم أن تتخلصوا من ورطات أوحالكم التى علمها الناس وجهلتموها وذكرها الذاكرون ونسيتموها وكان أمر الله قدراً مقدوراً

جاءت المدنية الاسلامية ناهية عن مخالطة السفهاء ومعاشرة الحمقا لما فى

ذلك من المضار التي تنتجها عدوى الامراض القلبية التي هى أضر الامراض المهلكة التي تذهب بالاداب وتخاف عاقبتها أولوا الالباب وقد أعجز الاطباء مدواة الحمقة والسفه فما وجدوا للسفيه دواء إلا المداراة وماعلموا للاحمق علاجا الا التباعد عنه ولكنهم ما بينوا للحماقة حالا مفهوما ولا جعلوا للسفاهة حدا محدوداً ولقد اشتبه على الناس الأمر الآن حتى جهلوا ماهى الحماقة وماهو السفه لانهم تعودوا جميعا عمل الحمقة عند الغضب وعمل السفاهة حال المخاصمة والتنازع واذا فلا سبيل الى تعريف كلا الوصفين لمن أراد أن يتجنبهما الا بالبحث عن فساد الاحوال البشرية كيف يكون ومن أين يأتى فنقول

إن فساد الاحوال ينقسم الى قسمين أحدهما فساد الاخلاق والثانى فساد العقائد وهما أمران متلازمان متى وجد أحدهما كان الآخر لانه لاسبيل الي فساد العقائد إذا كانت الاخلاق كريمة بالمعنى الصحيح ونريد بالمعنى الصحيح موافقتها لما جاء به القرآن الحكيم من الآداب الكمالية قولا وحالا وعملا

اذ المعلوم انه لا طريق الي تحسين الاخلاق الا الطريق الذى شرعه الله سبحانه وتعالى فلو أن باحثا كان من أطول الناس حياة وأدومهم أسفاراً وأدقهم بحثا فى أحوال الامم وكان من أوسع الناس فكراً وأسلمهم عقلا طاف الاقطار وجاس خلال الديار باحثا عن أدب كمالى لم تأت به النبوة الاخيرة وأفنى فى ذلك البحث حياته الطويلة لما اهتدى الى ذلك المطلب سبيلا

وكذلك لاسبيل الى فساد الاخلاق اذا كانت العقائد صحيحة المبادى خالية من الاغراض السافلة وعلي ذلك يكون نصيب كل انسان من السفاهة والحماقة بقدر ما فقد من تلك الا داب التى كان عليها النبيون وبها كانوا هم أشرف أفراد النوع الانسانى قدراً وأفضلهم عند الله درجة وأقربهم إليه منزلة وأوسعهم لديه جاهاً وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد الكل كما قال عليه الصلاة والسلام

ناسيدولد آدم ولا فخر وما ذلك الا لان الله سبحانه وتعالي تولى تأديبه فأحسن دبه ولقد أصبحنا وما منامن يستطيع أن يدعي أنه أحرز أدبا من تلك الا داب ثم تعودالتخلق به لا من العلماء ولا من الفقهاء ولا من غيرهم وأعنى بالفقهاء هنا حملة القرآن الذين ناداهم القائل بقوله

يامعشر القراء ياملح البلد مايصلح الملح إذا الملح فسد

ولقد أصبح حال القراء وهم حملة بروج الانوار ومجرى بحار الاسرار من أسوء الاحوال سيرة وأشنعها عيوبا وأقبحها منظراً وأنتنها ريحا وان كثيراً منهم والله انى ضلال بعيد غافلين عن قول رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ القرآن وهو يضحك دخل النار وهو يبكى

وان منا لأناس تمرنوا على زخرفة المقال وتعودوا التمويهات التضليلية نقلا لاعقلا وقدأصبحوا ينادون على الأمة بأنها رقت أول سلم من معارج الرقى المدنى ثم هم يعدونها بأنهم سيرتقمون بها الى أرفع درجات الرقى ولكنا نرى أن لسان الاحوال الحاضرة يناديهم نائبا عن الامة متمثلا بقول القائل

لا تجعلونى ككمون بمزرعة ان فاته السقى أغنته المواعيد

ذلك بأن الكمون اذا أضر العطش بحاله وقف أحد الزراع على رأس المزرعة ووقف الآخر فى مقابلته وقال أحدهما للاخر إن الكمون قد استحق السقى فيعده الثانى كذبا بنزول الغيث أو ورود الماء فيكفى الكمون بتلك المواعيد

وانى لاأدرى ماهو الرقى الذى أصبحت الأمة على أول سلم من معارجه فانهم ان كانوا يريدون بالرقى تخلق شبان الامة ورجالها بالاخلاق المرضية التى لاتقبل النقائص حتى تكون أمة كاملة تعمل لمنافعها وتتجنب مضارها فذلك هو الامر الغير الميسور مادام للغش شجر مغروس فى نفوس أفراد الطوائف التى ذكرناها وما دام البله مخالطا لعقول أكابر الرجال الذين لايتساءلون عن

الحكمة السماوية أين مهبطها ولا عن الآداب الدينية أين مقرها ولا عن العلم النافع أين مشرق شموس أنواره ولا عن العقل الصحيح أين مكامن أسراره وما دام التفرنج التقليدي حائلا بين المتمسكين به وبين الخصال المحمودة التى فيها مفاخر الرجال ومادام العته سائداً على عقول العوام الذين اذا جاءهم نبؤ نبوي قالوا إنا لانصدق من الأنباء الا مايؤيده قائله ببرهان محسوس واذا جاءهم نبؤ أورباوى وضعوه موضع الثقة والتصديق

مثال ذلك انهم فى شك مريب من أنباء الآخرة التى جاء بها القرآن الحكيم ووردت بها الاحاديث النبوية التى رواها الرواة عن الصادق الامين وما كان ذلك الشك الامن تضليلات الطبيعيين الذين يقولون إن العقل لايقبل الا كل كلام معقول تؤيده قرائن الاحوال وتثبته البراهين المحسوسة ولكنهم اذا قيل لهم ان فلانا الاورباوى يقول بأن الارض ما هى الا قطعة من الشمس أسقطتها سرعة الدوران فركزت فى مركزها الهوائى الذي هى فيه وبتمادى الازمان صارت كما ترونها وقع ذلك عندهم موقع القبول حيث لادليل ولا برهان وما شهد ذلك القائل مشهد ذلك السقوط ولا سمعه من أناس شهدوه كما أنهم يصدقون القائل بدوران الارض وهم لا يشهدون لذلك أثراً وانهم ليرون القطب مكانه فى السماء لايتحول ومن حوله أربع نجوم تدرر وفى مقابلته القطب الثانى فلو كانت الارض دائرة لما تمكن الرائى من رؤية القطبين على حالهما مدة حياته

والعجب كل العجب من عدم مطالبتهم أولئك المخرفين بالدليل المحسوس وهم يعلمون أنهم انما يقولون ذلك ليكذبوا آيات الله ورسله وكما أنهم يعلمون أن قدماء الحكماء يخالفون المتأخرين منهم فى ذلك النظر وهم أوسع منهم أفكارا وأصدق أقوالا وأقدم أحوالا والأدلة المحسوسة تؤيد نظر القدماء والكل

عباد أوهام وأسراء ظنون ولا مرجح لفريق منهما على الآخر الا محسنات الظنون والافكار وان كانت باطلة وقد علموا أن الحق سبحانه وتعالى قد نادى عليهم بقوله (إن يتبعون إلا الظن وان هم إلا يخرصون) وكيف يتصور العقل السليم أن الارض دائرة بالسرعة الهائلة التي يظنها أولئك الخراصون ومعها البحار ولا يسمع لها ذوى سماوقد جعل الله سبحانه وتعالى النجوم أعلاماً يهتدي بها راكب البحر فى ظلمات الدياجى الحوالك وفى تلك اللجج التى لا ساحل لها وما كانت الارض ظرفا للبحار المحيطة بها ولكنها محمولة على الماء ولو أنها كانت دائرة هى والماء والهواء كما يقولون لما كان لوجود الجبال عليها حكمة فان الجبال ماوجدت إلا لحفظها من الميد

وانهم لينكرون وجود الملائكة والشياطين لان كلاهما ليس بالمحسوس ولا بالملموس كما يقولون مع أنهم يرون عامل التلغراف عند اشتغاله بعمله تتخلل اجزاؤه الكهربا من حيث لايشعر ولا يستطيع احد ان يمض أذنه وقت التلبس بعمله لسريان الكهربا فى جميع اجزائه وماهى بالمحسوسة له ولا لغيره ولا بالملموسة فهل يكون التكذيب للانباء الغيبة التى ماصدرت الا من صادق أمين الا مجرد مكابرة واصرار ونتيجة شقاء محتم وهل تكون الثقة بمن لم يثبت صدقه الا مجرد دعته وجنون وهل ينال درجة الترقى الادبى من كان متابعاً لهواه ومقلدا لكل من وافق اغراضه ولو كان من الضالين

وان كانوا يريدون بالرقى هو ماعليه الامة الآن من فساد الاخلاق وارتكاب المنكرات وانتشار الفواحش وكثرة التنازع والتخاصم ومعانقة الاسراف الذي صير الاغنياء لا يبلغون فى العدد عشر معشار الفقراء وصير العزيز ذليلا وكم خرب بيوتاً عامرة وهدم قصوراً عالية فذلك هو الرقى الذى بلغت فيه الامة النهاية فليتق الله اولئك المتقولون وليجتنبوا ذلك الغش الذي ذهب بدنيا الامة

ودينها وليأتمروا بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو يصمت

ذلك ليعلم العقلاء من الناس أن الامة لاتقوم لها بين الامم قائمة حتى يكون منها من العقلاء من اذا سمع مادحاً يمدح ضالا من زعماء الاصلاح الطبيعى بأنه أكبر مفكر وأعقل عاقل لا يأخذ تلك المدائح قضية مسلمة بل يسأل المادح عن كل ماجاء به ذلك المفكر من الاصلاح حتى اذا لم يجد اصلاحاً لامادياً ولا أدبياً علم أن الممدوح لا يستحق المدح وأن المادح له مقلد فى مدائحه للمتقولين الغاشين لانا نرى أن الامة ما فقدت مزايا الكمالات المادية والادبية الا بسبب غش أولئك المفكرين الذين كلما باشروا شأناً أفسدوه

كما أنها لا تقوم لها قائمة بين الامم حتى تكون جسداً ذا رأس قوية وأعضاء متعاونة وجوارح متحدة يتألم كل جزء منها بما يصيب أى حاسة من حواسها وحتى تحافظ كل أجزائها على كرامة الراس وحتى تكون ولاة الامور فى نظر أفرادها كالآباء فى نظر الابناء وحتى يشتغل كل عامل بعمله ويضع كل فرد من افرادها نفسه فى المنزلة التى اوجدها الله فيها لكيلا يعارض المرؤس رئيسه ولا يعاند المأمور آمره ولكيلا يتداخل الصعلوك فى شؤن الملوك

كما أنها لاتقوم لها قائمة حتى يكون منها من الرجال ومن نبهاء الشبان من يؤثر دينه على شهوته كيلا تتحكم شهوات البطون والفروج فى عقول نساء الامة ورجالها لان ذلك هو الداء الذى سرت سمومه فى مقاتل هذا الجسد الاجتماعى وقد أعمى ابصار الناس عن طريق الاقتصاد وأنام أفكارهم واذاق نفوسهم وبال الفقر وامات مروآتهم واضعف هممهم وضيع عقولهم وذهب بأذواقهم الادبية واحساساتهم الكمالية فلم يشعروا بمضاره وآلامه وقد أخلى خزائنهم وفرغ جيوبهم وجعلهم فى جنب الاوربا بين الذين جاؤهم جياعا وعرايا فأصبحوا منعمين

كالعجوز فى جانب العروس أو كالارملة المعدمة فى جانب الشهم الموسر (وكان أمر الله قدراً مقدوراً) كما أنها لا تقوم لها بين الامم قائمة حتى يكون كل فرد من أفرادها عادا نفسه فى تعداد العقلاء الذين يرى كل فرد منهم أنه هو المصاب وحده بكل ما يصيب الامة من المصائب الدولية وأنه هو المسؤل بين يدي الله عن كل عمل سيء يعلمه ولا ينهى عنه عامله أو لا يهتم بازالته اتباعا الوصايا المدنية الاسلامية التى أوجبت على كل فرد من أفرادأمها الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر من طريق النصيحة لا من طريق الفضيحة

أفلا يعلم أفقر فقير فى الأمة وأحقر حقير منها ان عناية الحكومة به اذا ضرب أو قتل أو سلب شيئاً من أمتعته كعنايتها بأعظم عظيم منها فلم لم يعمل علي مصالح حكومته وتقوية نفوذها

كما أنه لا يجهل أن الامم الراقية ربما اضطرتها المحافظة على ناموسها الى أن تقاتل أمة من الامم اذا هى تعدت على فرد من أفرادها الذين هم تحت حمايتها فما الذي يمنع رجال أمتنا أن يعملوا على إعلاء شأن أمتهم حتى تكون في مصاف الامم الراقيـة وحتى يكون ملكها معدوداً فى أعداد عظماء الملوك كما تفعل كل أمة بملكها إذ الأمم لا تسود الا بسوءدد ملوكها وما الذى يمنعنا من أن نتشبه برجال انجلتري فى العمل على مصالح بلادهم وفى الانقياد لولاة أمورهم وفى محبة ملكهم اذا كنا ساهين عن أوامر الله سبحانه وتعالى التى تأمرنا بذلك كله

وما الذى يمنع علماءنا من أن يعلمونا ما كلفهم الله بتعليمه لنا أفلا يعلم العالم أنه إن لم يقم بواجبات مرتبته فما هو بعالم الا فى نظر الجهلاء

لانه لا يعلم معني العلم ولا يعقل له ثمرة ولا نتيجة فهل كان حرمانه من مزايا العلم الا عقابا وهل كان جهله فضيلة علمه الا نتيجة جرأته على ارتكاب المحرمات وتعاطي الكبائر الظاهرة والباطنة من حيث لا يدري أن تحصيل العلم المفيد

والتحلي بمزاياه متوقف على التقوى لقوله تعالى (واتقوا الله ويعلمكم الله) وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو عرفتم الله حق معرفته لمشيتم على البحار ولزالت بدعائكم الجبال ولو خفتم الله حق مخافته لعلمكم العلم الذي ليس بعده جهل ولكن لم يبلغ ذلك أحد قيل ولا أنت يارسول الله قال ولا أنا فان الله تبارك وتعالى أعز شأناً وأعظم من أن يبلغ أحد أمره كله

أفلا يعلم طالب العلم أو من حذا حذوه من الذين يزعمون التهذيب والتنور أن الاعمال والعلوم لا تطلب الا لما لها من النتائج والثمرات فلماذا لم يطالب نفسه بنتيجة العلم التى أضاعها ولماذا يبحث عن ثمرات العلم إذا كان ممن يجهلون ثمرته ونتيجته ولماذا لم يسأل نفسه اذا عزم على حلق لحيته عن حكمة هذا العمل وعن ثمرته ونتيجته حتى اذا علم النتيجة أقدم على العمل عن بينة من الامر والا كان عابثاً

ولماذا لم يعلن طالب العلم أو من حذا حذوه من المرشدين أو من بسطاء المعلمين على السنة الصحف حكمة هذا العمل الذى نحن نعده من أقبح أعمال الرجال ولِمَ لَمْ يبين نتائجه حتى اذا وجدناه مفيداً فى الاخلاق أو فى الرقى الأدبى أو المادى حلقنا لحانا وبرمنا أشنابنا لتعود منفعة ذلك على الأمة التى تتشوق الى الترقى ولكنها لا تهتدى اليه سبيلا لجهل المرشدين وفساد أخلاق المعلمين وتباعد العلماء عن آداب الدين

وهذه هى إحدى العادات التي تعودتها أسافل الامة وأعاليها بلا عقل ولا حكمة وانما هى رعونة جاء بها الاعجاب و لتباهى الذى هو من عمل جهلة النساء وما كان لذلك من سبب إلا الرضا عن النفوس الدنيئة الامارة بالسوء ومتابعة هواها وهل يركن الى الرقى المادى أو الأدبى من غلبه هواه وحكمته شهواته وأصبح عابثاً فى أعماله وأحواله وكان فى كل شؤونه من المقلدين

وإنا إذا نادينا رجال الامة وشبانها الذين هم عن العبر معرضون والذين هم

عن الموت لاهون والذين هم فى غفلتهم ساهون والذين هم فى مهاد الملاهى نائمون والذين هم للآداب هاجرون والذين هم فى ظلمات لا يبصرون والذين هم من بركة الوحى محرومون والذين هم بفضل أهل الفضل لا يعترفون والذين هم لكرامات أكابر الامة منكرون والذين هم بعمل أهل الايمان لا يعملون والذين هم فى ورطات المفوات واحلون والذين هم بتوالي النقم وبزوال النعم لا يشعرون والذين هم بما جاء به القرآن الكريم من الوعد والوعيد مكذبون والذين هم فيما رزقهم الله مسرفون والذين هم بما بعد الموت لا يؤمنون والذين هم بزخرف القول من أهل الضلال مفتونون والذين هم من الاتقياء يسخرون والذين هم بألوهية الإله ورسالة رسوله لا يشهدون والذين هم فى طغيانهم يعمهون والذين هم عن حقائق الدين وآدابه لا يبحثون والذين هم لأنفسهم ظالمون وعن طريق الرشاد ضالون قائلين (يا أيها الناس إنما بغيكم على أنفسكم متاع الحياة الدنيا ثم إلى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون) (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ماقدمت لغد واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون) ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون) (يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون مايؤمرون) واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون) (كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون) (قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون) (ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون) (ذلك يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر ذلكم أزكى لكم وأطهر والله يعلم وأنتم

لاتعلمون) (وعسى أن تكرهوا شيئاوهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاوهو شر لكم والله يعلم وأنتم لاتعلمون) ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولاهم يحزنون) (ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون) (ولتكن منكم أمة يدعون إلي الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون) واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون) يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد ايمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون * وأما الذين أبيضت وجوههم ففى رحمة اللههم فيها خالدون * ياأيها الذين آمنوا لاتأكلوا الرباأضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون) (الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا * وأحل الله البيع وحرم الربا * فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فلهماسلف وأمره الى الله * ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) (ياأيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون) يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضاً أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه واتقوا الله إن كنتم مؤمنين) إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم * واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون) (وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هوناً * واذا خاطبهم الجاهلون قالواسلاما * والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً * والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراما * إنها ساءت مستقراً ومقاماً) (إن ربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام ثم استوى على العرش * يغشى الليل النهار يطلبه حثيثاً

والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره * ألا له الخلق والأمر * تبارك الله رب العالمين * ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل * وهو الله في السموات وفى الارض يعلم سركم وجهركم ويعلم ماتكسبون) إلى غير ذلك من الآيات البينات (لقالوا إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون) ولقابلتنا قرائن أحوالهم بقول الأقدمين

قالوا للجمل زمر قال لا شفة متلاصقة ولا أصابع متفرقة

لا لأنهم أغبياء ولا لأنهم جهلاء ولكن لأنهم ملئوا تضليلا ولا يمت أميالهم تمويهات المضلين ومفتريات الافاكين التي تمكنت من قلوبهم فهي لا تقبل نور الهداية ولا تميل الى التوفيق ولكن الله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

وانه لمن المعلوم أن القلوب التي لا تيقظها المواعظ ولا تردعها عن غيها الزواجر ولا ترشدها الحكمة ولا تلين الى ذكر الله ولا تهتز لتلاوة آياته لا تهتدى الى مراقى الكمالات المادية ولا الادبية سبيلا

فلتعامل الامة علماءها بعنفوان المطالبة بأداء واجباتهم الدينية واقامة شعائر الدين بالمعنى الصحيح والحال المطلوب وبأن يستعملوا العلم فى أنفسهم حتى يعتدلوا وحتى يكونوا نجوم هداية ومصابيح ارشاد

ولتعامل الامة المرشدين من ناحية الكلام بالهجران والازدراء حتى يهجروا التضليل والتمويه والتعمية ويتباعدوا عن التباغض والتحاسد ويكونوا على قلب رجل واحد فى نهي المجرمين عن اجرامهم والمفسدين عن افسادهم والاشقياء عن شقاوتهم وحتى يعلمون الناس كيف يكون التحابب والتوادد والاتحاد والارتباط لا من طريق الحزب والتمويه الذي هو منشأ المشاكل ولكن من طريق الآداب الدينية التى تجمع كل العناصر على موائد الألفة والتعاطف وحتى يعلمون الناس كيف تلين قلوبهم للقوى التى هى مجمع الكمالات الادبية

وحتى يكونوا أعني الصحافيين مع الحكومة كاللسان مع القلب لا يترجم إلا مايوحيه إليه ولا يقول الا مايمليه عليه كما هى صحافة انجلترى مع حكومتها وحتى يملنوا نصائح الدين فى منشوراتهم حتى تستحى نساء الامة من رجالها وحتى تثق رجالها بصيانة نسائها من طريق التعفف وترك التبرج وملازمة البيوت فتتجمل الرجال بملابس السكينة والوقار وتتحلى النساء بحلل الحياء والعفاف كما أمر الله ورسوله وحتى يعمل الصحافيون على تمايم أفراد الامة مزايا أميرهم اذا هم أجمعوا على محبته وتآزروا على تقوية سلطان نفوذه واعلاء كلمته وكانوا له كالجسد للرأس ان نامت نام الجسد وان قامت قام الجسد لان الرأس لاتنام الا عن غلبة نوم ولا تقوم الا عن استراحة أعضاء وقوة بدن . ن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد

كما أنها لاتقوم لها بين الامم قائمة الا اذا حرّم رجالها على أنفسهم العمل على الاغراض الهوائية وحتى يكون الاخلاص فى الاعمال وفى الاميال طبيعيا لهم فلا تُعطَى درجات العالمية الا لمن كان كامل الاخلاق طاهر السريرة طيب السيرة واسع العلم شديد الخشية من الله عفوفا تقيا يقتدى به فى الآداب الكمالية ولا تعطى المناصب السياسيه الا لمن كان وافر العقل سليم الفكر حسن التصور بعيداً من الرعونة معاديا للاعجاب والغرور مقدماً لمصالح الناس على مصلحته الشخصية طيب الأصل حميد السجايا ولا يُتَمَدُ لعمدة فى أي بلد الا اذا كان معروفا بين الناس بالصدق والأمانة متجنبا لكبائر المنكرات ذاهبية ووقار بالنا سن الاربعين حتى اذا دعي للانتخاب لا يميل قلبه الا الى أمراء الرجال وأمنائهم فلا ينتخب الا من يساوى فى كماله وسعة عقله ألف رجل ولا ينتخب غنياً لغناه ولا سفيها لسفاهته ولا قريبا لقرابته ولا صاحبا لصحبته فان ذلك كله وما وراءه ماهو الا ضرب من ضروب الغش وأصل من أصول الفساد العام

كما أنها لاتقوم لها قائمة الا اذا انتصر رجالها للحق وضحوا نفوسهم فى نصرته بمعنى أنه اذا قام فى بلدة مزور من المزورين ينازع زيداً من الناس بغير حق قام فى مقابلته الرجال ناصرين لصاحب الحق امام القضاء وعند رجال السياسة حتى لا يتمكن صاحب بهتان من إضاعة الحق ونصرة الباطل والناس به عالمون فقد لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوما ضاع الحق بينهم وبالجملة فلا تقوم للامة قائمة الا اذا أصبح رجالها رجالا بالمعنى الصحيح

وان فى هذا القدر من البيان لكفاية ولقد قدمنا فى المبدئ المعذرة لكل طائفة نصحناها وما على الناصح من سبيل متى سلمت نواياه وحسنت مقاصده وأحب للناس مايحب لنفسه والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

﴿ خاتمة ﴾

ينقسم الناس فى معاملتهم مولاهم فى شؤن العبودية التي يترتب عليها الثواب والعقاب الي أربعة أقسام لاخامس لها فمنهم عقلاء المجانين ومنهم مجانين العقلاء ومنهم مجانين المجانين ومنهم عقلاء العقلاء وان ذلك التقسيم هو الذى يحكم به العقل الصحيح والشرع المتبع ولا ينكر صحته الا من تحيز باستعداده وقابليته الى جنود الشيطان أو الى بهيمة الأنعام وأولئك هم شر البرية وان كانوا من ذوى الوجاهة والجاه أوكان منهم من يدعي أنه العلم الحكيم لأن العدل الالهى مابين للناس طريق الاعتدال وأمر بسلوكها وأوضح سبيل الاعوجاج ونهى عنها الا ليتميز الخبيث من الطيب فيجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا فيجعله فى جهنم كما ورد ذلك فى القرآن الحكيم وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون

فأما عقلاء المجانين فهم أناس شرح الله صدورهم للأسلام فآمنوا بكتاب الله وبرسوله وأيقنوا صدق وعده ووعيده فقاموا بأداء ماافترضه عليهم قيام المدين

لدائته بماله عليه من الدين وتباعدوا عن كثير من نواهيه لكيلا يكونوا من أصحاب الجحيم ولكنهم ماوجدوا من هممهم القلبية ولا من عزائمهم النفسانية مايقويهم على مقاومة أغراضهم وشهواتهم الهوائية التي حالت بينهم وبين معالم الحكمة ومعاهد الأدب وما تمكنوا من مدافعة الشيطان ولا مجاهدة النفوس الا كما تقاتل المرأة القوية الرجل الضعيف فكان الحرب بينهم سجالا يوم لهم ويوم عليهم بمعنى انهم يتحاشون كثيرا من الفاحشة ثم يقعوا في باقي الموبقات التي منها الحرص والطمع والشح والتشاحن والحقد والحسد والغيبة وغير ذلك مما عليه بعض العلماء وأتقياء العامة الذين شملهم الصفح الصمداني من قوله تعالى (وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم) يريد قبل الممات تصديقا لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد الله بعبد خيراً طهره قبل موته قالوا يارسول الله وما طهور العبد قبل موته قال عمل صالح يلهمه الله اياه ثم يموت عليه وقوله اذا تاب العبد أنسى الله الحفظة ذنوبه وأنسى ذلك جوارحه ومعالمه من الارض حتى يلقى الله وليس عليه شاهد بذنب أولئك هم عقلاء المجانين الذين اذا أدركهم الموت قبل المتاب كانوا على خطر عظيم

وأما مجانين العقلاء فهم أناس ساوت استعداداتهم وقوابلهم قوابل السعداء واستعداداتهم في الزكاء والفطنة وحدة الذهن وجودة الفهم ولكنهم كانوا أقرب في القوابل والاستعدادات الى الشيطنة فأضلهم الله على علم وابتلاهم بالاعجاب الذي يأتي بالجنون بعد العقل وبالفسوق بعد الايمان وبالضلالة بعد الهدى وبالجهل بعد العلم ثم نادى عليهم بقوله تعالى لنبيه (قل هل ننبؤكم بالاخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا) فترى كثيراً منهم يفتخر بالخدلان ويتباهى بالحرمان قائلا إني كثيراً ماذكرت الله وناجيته وسلكت سبيل الوصول إليه على أيدي المرشدين ولم أجد في نفسي لذلك العمل

تأثيراً ولا علمت له من ثمرة تذكر ولا نتيجة ترجى وقد غاب عن ذلك المغرور أن الله سبحانه وتعالى لايقبل من عبيده الا من جاءه متصفا بأوصاف العبودية التي هي الذل والعجز والضعف والافتقار وتلك شؤن لاتقبلها إلا قوابل السعداء وهل يجد نتيجة الذكر أو المناجات من خلق للغواية وكان استمداده شيطانياً لايميل إلا إلى التعمية والتضليل وهل يتجلي الله سبحانه وتعالى لذاكر ماذكره الا ليسابق ذوي الاغراض الهوائية أو لينال رفعة بين الناس أو ليطلع على أسرار الملكوت كلاّ والله لو جاز ذلك التجلي لمن كان هذا حاله لكان الشحاذ أحق بأن يكون أسبق الواصلين الي الله لأنه لايقف موقف سؤال ولا يخطوا خطوة تملق الا وهو ذاكر وما هو بذاكر ولكنه ماكر لاغرض له الا استمالة قلوب المتصدّقين كما بينا ذلك فى غير هذا الموضع

وما وصفناهم بأنهم مجانين العقلاء إلا لانهم فى نظر الناس عقلاء ولكنهم محسبون عند الله مجانين فترى الناظر اليهم لايميزهم من العقلاء بحال من الاحوال إلا إذا كان ذا نظر دقيق وأدب كامل وكان عارفا مايعرفه العارفون من الفارق بين أعمال العبودية والاعمال الاعتيادية التي يعملها كل من أراد أن يسود فى قومه أو أن يكون ذاجاه ووجاهة عند ولات الامور فيكون ذاغرض نافذ

وما حسبوا عند الله مجانين إلا لانهم أعلم الناس بأمر دنياهم وأجهلهم بأمر آخرتهم فتراهم لاعناية لهم بأمر الصلاة مثلا وهم يعلمون أن المسلم اذا احتضر وكان فى سكرات الموت كان أهم أعمال أهله له أن يوجهوا وجهه الى القبلة وكذلك لايضعونه فى قبره الا متجها اليها وما ذلك الى لأنها الجهة التى كان يتجه اليها كلما أراد أن يتعرف الى ربه ولأنها كانت ميقات التلاقى فى الاوقات التى يكون الله سبحانه وتعالى فيها فى قبلة المصلى ولكن أولئك المجانين جهلوا هذه المزايا فتركوا الصلاة حتي اذا جاء أحدهم الموت ووجهوه تجاه القبلة كان

أخزى الناس من ملائكة العذاب ومن الحفظة الذين يعلمون أنه ما كان من أهل هذه الوجهة الشريفة وما وقف بين يدى ربه ذلك الموقف الذى هو أشرف مواقف العبودية وما كان عبداً آبقا حتي يقال انه ربما رجع الى ربه عند الموت فقبله ولكنه كان عبداً معانداً مزاحما مولاه فى شؤن التدبير وجاحداً لعمل المقادير وما بعد ذلك جنون ولا فوق ذلك فتون

ومن علامة جنونهم أن المفتون منهم كلما استرسل وراء أفكاره وظنونه وعرضت عليه معلومات كونية ليلهى بها عن مدارك العارفين توهم انه أصبح عليما حكيما وقد ترك طريق العلم النافع والحكمة الصحيحة وراء ظهره لجهله بأن طريق النبوة هى الطريق الوحيدة التى لا يصل الى الله سبحانه وتعالي واصل الا منها كما اعترف بذلك الامام محي الدين فى صلواته على رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما قال بعد كلام كالدر النظيم (اذ هو بابك الذي من لم يقصدك منه سدت عليه الطرق والابواب ورُدَّ بعصا الادب الى اصطبل الدواب) ولقد علق الله سبحانه وتعالي محبته لعبده على متابعتهم لرسوله حيث قال له عليه الصلاة والسلام (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله) وهؤلاء المجانين ما تركوا سببا من أسباب المقاطعة بينهم وبين رسول الله إلا وقد تمسكوا به فأنكروا الشفاعة وقبحوا للناس محبة السلف الصالح وكفروا المتوسلين بأحباب الله اليه وسموا التوسل عبادة واشراكا ثم طعنوا على العارفين من أهل التصوف المحققين واختلقوا لأئمة الدين الذين حفظ الله بهم أحكام الشريعة وآدابها من الضياع معايب وما هى بمعايب الا فى نظر المجانين الذين ينهون الناس عن ذكر الله بأسمائه التى ما علمها لعباده الا ليذكروه بها فهل بعد ذلك جنون أو فوق ذلك فتون

ومن أسوء حالا ممن اذا صدّق الجهلاء مقاله توهم أنه على الحق وان كان زنيما واذا عظمه السفهاء ظن نفسه عظيما وإن اقتدى به البسطاء رأى نفسه عليما

حكيما فهل يكون حاله الا كحال الحاكم المتكبر الذى اذا ألبسه الله رداء جبروتيا طغى وتجبر ونسي مبدأه ومصيره وظن ان ذلك الجبروت من حقوقه الذاتية وغفل عن تصرفات الملك القدير فى ملكه حتى اذا انقضى مراد الله منه ونزع عنه ذلك الرداء عاد إلى ما كان عليه من المسكنة والانكسار (ومن يضلل الله فما له من هاد

وأما مجانين المجانين فقد أصبحوا وهم السواد الاعظم من هذه الامة وأولئك هم القوم الذين اغتروا بزخارف أقوال الزائغين وتابعوا في هجران آداب الدين أولئك المجانين حتى أخطأوا مفاوز النجاة ووقعوا فى مصارع الهفوات والزلات وسلبت عقولهم الالعاب المتنوعة حتي أصبحوا مرجع الضمير من قوله تعالي لنبيه (ذرهم يخوضوا ويلعبوا حتي يلاقوا يومهم الذى يوعدون) وأولئك هم القوم الذين لاعقل لهم يمنعهم من ارتكاب المنكرات والكبائر ولا دين يحملهم على العمل للنجاة فى اليوم الآخر أ ولا يرون من كان قبلهم من سكان القصور وقد أصبحوا فُرادى فى ظلمات القبور وقد غدرهم الزمن ومكرت بهم الأيام حتى صيرتهم تحت مواطئ الارجل والاقدام كلا انهم لفى طغيانهم يعمهون

وأما عقلاء العقلاء فهم أناس انقسموا الى قسمين أحدهما رجال لم تلههم أموالهم ولا أولادهم عن ذكر الله ولم تشغلهم دنياهم عن آخرتهم بل جعلوا الأولى مزرعة للثانية وما تناولوا منها شيئا الا بميزان العدل والاعتدال ومازال الشكر يزيد فى أموالهم وأمتعتهم فى الدنيا ويربيها لهم عند الله حتى أصبح غنيهم الشاكر أفضل من الفقير الصابر وأولئك هم المؤمنون حقاً وأولئك هم أولوا الألباب

والثانى رجال اختصهم الله لنفسه واختارهم لخدمته وأراهم حقائق الاشياء فنظروا الى الدنيا كما نظر اليها الحق سبحانه وتعالى نظر احتقار وازدراء بعد ما

تحققوا صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله ان الله تبارك وتعالي خلق الدنيا وأعرض عنها لهوانها عليه وقوله الدنيا جيفة وطلابها كلاب وذلك نظر لايتحقق به إلا أهل الاختصاص الذين يرون أن كل نفس واحد من أنفاسهم ماهو الا خطوة من خطوات الرحيل الي القيامة

وأولئك همو السادة الذين عناهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله لأبى هريرة ياأبا هريرة عليك بطريق أقوام اذا فزع الناس لم يفزعوا واذاطلب الناس الأمان من النار لم يخافوا قال أبو هريرة من هم يارسول الله قال قوم من أمتى فى آخر الزمان يحشرون يوم القيامة محشر الأنبياء اذا نظر اليهم الناس ظنوهم أنبياء مما يرون من حالهم حتى أراهم أنا فأقول أمتى أمتى فتعرف الخلائق أنهم ليسو بأنبياء فيمرون على الصراط مثل البرق والريح تغشى أبصار أهل الجمع أنوارهم قال أبو هريرة فقلت يا رسول الله مرنى بمثل عملهم لعلى ألتحق بهم فقال ياأبا هريرة ركب القوم طريقا صعبا حتى لحقوا بدرجة النبيين آثروا الجوع بعد ماأشبعهم الله والعرى بعد ما كساهم والعطش بعد ما أرواهم تركوا ذلك رجاء ماعند الله تركوا الحلال مخافة حسابهم صحبوا الدنيا بأبدانهم ولم تشتغل قلوبهم بشئ منها عجبت الملائكة والانبياء من طاعتهم لربهم طوبى لهم وددت لو أن الله جمع بيني وبينهم ثم بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم شوقا إليهم ثم قال اذا أراد الله بأهل الارض عذاباً فنظر اليهم صرف العذاب عنهم فعليك ياأبا هريرة بطريقتهم فمن خالف طريقتهم تعب فى شدة الحساب

ذلك ليعلم العقلاء من الناس أن الله سبحانه وتعالي مازين الدنيا الا فى نظر المجانين الذين لا يذكرون الموت ولا يخافون حسرة الفوت ولا يتعقلون العبر ولا يفقهون المواعظ ثم انه ماأظهر شرف الآخرة الا لأولي الالباب الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والارض ويؤمنون

يقول الله سبحانه وتعالي (إعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الاموال والاولاد) الى آخر الآية

قال الفضيل بن عياض رضى الله عنه لو أن الدنيا بحزافيرها عرضت علىّ ولا أحاسب بها لتقذرتها كما يتقذر أحدكم الجيفة اذا مرّ بها أن تصيب ثوبه وقال السري السقطى رضى الله عنه لا تركن الى الدنيا فينقطع من الله حبلك ولا تمش فى الأرض مرحا فانها عن قريب قبرك

وقال أبو يزيد البسطامى رضى الله عنه ان الله تبارك وتعالي خلق ابليس كلباً من كلابه وخلق الدنيا جيفة وجعلها حقا له ثم أوقفه على آخر طريق الدنيا وأول طريق الآخرة وقيل له انظر فكلما وجدت فى عمل عبد من عبادى حقا لك فأنت مسلط عليه

وقال أبو سليمان عبد الرحمن ابن عطية اذا سكنت الدنيا قلبا ترحلت عنه الآخرة وقال الدنيا تطلب الهارب منها وتهرب من الطالب لها فان أدركت الهارب منها أشغلته وأحزنته وان أدركها الطالب لها قتلته وأهلكته

. ولما كانت عادة الطبيعيين أن يؤبنوا موتاهم بما تعودوه من البهتان وقول الزور وكان من الغش السكوت عند سماع الباطل جئنا بالتأبين الآتى ليتلوه أتقياء القرون الآتية كلما قامت طائفة من الطبيعيين على قبر ميت من أمواتهم ليؤبنوه ليحق الله الحق بكلماته ولو كره المبطلون

طاشت لموتك ألباب وأفكار	وموت مثلك للاهين تذكار
يا خامداً بمناخ الخاملين أفق	إن الخمول لدى أهل النهى عار
ماللطبيعة أردت من تألهها	ومالها غير من أردته نصّار
دَسّت لك السم فى حلوى زخارفها	وزينت لك ما عقباه اضرار
وخلتها الفاعل المختار فافتتنت	بسوء ظنك شبان وابكار

وعشت بضعا من الاعوام منتظراً ... فى ملعب كله جرم واصرار
حتى اذا جاء وقت المقت وانتشبت ... يا مصلحا للمنايا فيك أظفار
خابت ظنونك فى أم مخادعة ... ألوت عنانك عما كنت تختار
وأسكنتك مكاناً مظلما خربا ... فهل تحاييك لوردات ونظار
أنى وما بقاع جئت تعمرها ... الا الهوام ونباش وحفار
ياذا الوجاهة والجاه العريض لقد ... خانت عهودك أعوان وأنصار
ألفوك فى حفرة هالتك وحشتها ... كأنها مخدع يُغلى به القار
وغادروك وما فى الحى من حكم ... تشكوا اليه وما فى الدار ديار
ياراقداً ومضيق القبر مضجعه ... أملك القطر أم ضاقت بك الدار
أبعد مافى مغانى الحى من سعة ... تغنى الضجيع عن الأميال أشبار
فاجهد إن اسطعت أن لا تبق فى نفر ... ما عندهم لزعيم الزيغ مقدار
ياذا النضارة هل ترضى بمقبرة ... قفراء منها استقال الجرز والفار
ماللأبية ترضى الذل صاغرة ... مابين من هم لديها قبل أقذار
خلوت وحدك لا خل ولا خدم ... فهل تناجيك بالاصلاح أفكار
أم أنت ممن يرون الموت راحتهم ... ياحبذا الموت لولا الحشر والنار
والقبر ان لم تكن فيه منغصة ... حاكت زواياه روضا فيه أزهار
لكنه وظلام الزيغ يوحشه ... سجن له من ذوات النهش عمار
فهل يحاكى قبور القوم مضجعكم ... أم زاحمتك ظلامات وآصار
بالامس صدرا أخا كبر وغطرسة ... وما سوى الصدر نهاء وأمار
واليوم بين هوام الارض مضطجع ... فى مضطجع ما به جار وسمار
الا عقائد زيغ صورت صورا ... لها من القبح أوبار وأشعار
واهاً لدنيا اذا ما أقبلت قتلت ... وشوط إقبالها فوت وادبار

تمر بالمرء مرّ الطيف باسمةً ‌‌ وخلفها من جيوش الحزن جرار
اذا سقت كأس إيناس أخاسفه ‌‌ تجرع السم منه وهو مختار
وما السموم سوى لذاتها وبها ‌‌ كم أهلكت أمما فى القبر قد ماروا
تزهو لاهل الهوى حتى اذا ابتهجوا ‌‌ حاءت بما فيه أرزاء وأكدار
يا ويح من أخذت يوماً بمخقه ‌‌ الى طريق اليها ينتهى العار
ويا ندامة من لم يبك ان ضحكت ‌‌ فضحكها لذوى اللذات إنذار
ويا خسارة من أنسته مبدءه ‌‌ وَمنتهاه ولم يوقظه تذكار
كالشاب تنسيه عصر الشيب غرته ‌‌ حتى اذا علقت بالأزر أوزار
فرّ الشباب وظل الشيب هازمه ‌‌ ان الشباب أمام الشيب فرار
فهل لذى الجاه أن ينسى منيته ‌‌ والموت فى رأس رب الجاه معثار
وكم وجيه تعامى عن عواقبه ‌‌ اذ هابه خشية عمرو وعمار
وظل في زخرف التضليل متجراً ‌‌ والناس منه بسوق الزيغ تمتار
حتى اذا ما الردى للموت أضجعه ‌‌ أضحى كأضحية من حولها داروا
ومات والخوف حيّ بين أضلعه ‌‌ وللمخازي بتلك الدار أدوار
أف لمقبلة مرت على عجل ‌‌ كأنها الفجر لم يمهله إسفار
كأنما أنت والدنيا وما صنعت ‌‌ ألعوبة باعها الصبيان مهزار
ألهتهمو برهة حتى اذا تلفت ‌‌ وفاتهم فى المسا دُف ومزمار
لم يلبثوا فى الملاهى غير ساعتهم ‌‌ وقد دهتهم ملمات وأكدار
وهكذا كل حال لابقاء له ‌‌ وكلنا فى الجني للموت أثمار
وكل من كانت الايام مركبه ‌‌ فكل أوقاته ظعن وأسفار
كأنما الزيغ ليل أنت كوكبه ‌‌ والنجم ان أقبل الاسفار مغوار
تباً لدنيا أرتنا من ملاعبها ‌‌ عجائبا ما أتاها الدهر سحار

ياويلها تخفض العالي بلا مهل — اذ كل أعدائها فى الناس أخيار
وترفع السافل المتعوس مازحة — تربه من حنق الأمجاد ماواروا
حتى اذا رجعت للجد تسقطه — فى مصرع تتنا آى عنه أخبار
تالله مارفعت هراً ولا وضعت — غضنفراً ولها فى ذاك أوطار
لكنها كلما جاءت بعادتها — تناوبتنا مع الاقدار أطوار
كأنها كفتا الميزان اذ بهما — يطيش رطل اذا ما انحط قنطار
آها على فيلسوف كان ذا أمل — ضاقت لقصواه آفاق وأقطار
دار الخلافة كانت دون مطلبه — وظامئ الفقر لا ترويه أنهار
وشهوة الطامع المنهوم فاضحة — وفى الفضا مثل المغرور طيار
تسما لسابح بحر لاقرار له — أخفت موانيه أمواج وتيار
كان العليم ولكن بالذى جهلت — عقبي مساويه أشباه وانظار
كان الحكيم ولكن دون حكمته — والرشد حالت مغاليق وأستار
خانتك دعواك اصلاح الورى كذبا — هل تصلح الملك ملك الله أغيار
لو أن ماتدعيه الحق ما نشبت — يالخلنا للمنايا فيك أظفار
هل يصلح المرؤ معاه اذا فسدت — أو يملك الامر من ترعاه أقدار
كلا ولكنما المغرور ان جنحت — للزيغ فطنته خانته أفكار
حزنى عليك خفى يا نخور ولي — فى أمر عقباك تفكير وتذكار

فلست أدرى ببطن الارض ماصنعت
بك الهوام وريح القبر إعصار

لاقوم الله قوما حول مضجعكم — جاؤا بافك وفى أحكامهم جاروا
ظنوه غارا وذا الآيات ساكه — هل يستوى مظلم الاجداث والغار
لكنهم فشلوا فيما به شهدوا — والمدعى إن تغالى فهو فشار

ماما من قال أحلى الشعر أكذبه ... وهل من الله تغني عنك أشعار
لا والذي ترك الجانين هيبته ... بلا جدال لهم بالذنب إقرار
هم عرضوك لتوبيخ النكير ولو ... خلوك ما استفحلت في القبر أخطار
كأنما القبر اذ ماجت جوانبه ... بالقوم إمعةٌ دقت لها الغار
ماشمت قوما أساؤا روح فاتنهم ... كما أساؤك لا وافتك زوار
حتى مع الموت ما أخلوك من بدع ... أأنت أوصيت أم في القوم كفار
قالوا لك الجنة العلياء تسكنها ... فيها حسان وولدان وأنهار
هم بشروك بأمر كنت تنكره ... مادت بهم كل أرض أينما ساروا
حاشاك تركن للمكذوب من كلم ... بها مهابيل حول القبر قد داروا
إذ أنت تأبى على الاجسام عودتها ... بعد الممات أما ضلوا أما حاروا
الله ياقوم فيمن حول حفرته ... عمت قلوب وزاغت عنه أبصار
لو أبصروه لظل الهول مسكنهم ... لا كان قبر به همٌ وأكدار
سلوه عن شر ما يلقاه إن له ... شأنا مع الله مالاقاه جبّار
أعطاه علما فعاداه بلا أدب ... والعلم في الطيش للادأب منشار
وحدة الذهن للمغرور مخدعة ... والحذق مصرع من أهواءهم جاروا
ومن تناسى مقر القبر كان كمن ... ألهاه عن أمه طبل ومزمار
ومن قضى وازدراء الدين ديدنه ... لم تغنه عن عذاب القبر أعذار
هاجت وماجت جنود الزيغ حين قضا ... كأن موت طبيعي العمى عار
والموت سنة رب عادل حكم ... جرت بها في جميع الخلق أقدار
إذا فلا ضير ان ألفا كمن فقدوا ... مع أم عمر إلى دار الردى صاروا
كانت حياتك للاوزار مزرعة ... والآن ذكراك للكفران تذكار
اذ كنت قدوة من زاغوا ومن هجروا ... مناسك الدين حتى في لظى انهاروا

والكل جاروك فى طيش وفى شطط . واستحسنوا الغي حتى قيل كفار
ومذ غدونا وجل الأغنياء لهم في منهج الزيغ إنجاد وإضرار
ضج الرجال دجاء في محاربهم واستنجدوا الله والرحمن قهار
واستهدفوك لمسمومات أسهمهم واسترسلت من مجاري الدمع أمطارا
فصادفتك سهام الليل صائبة واستلّ سيف من الاقدار بتار
فكنت أول من دارت عليه رحى بطش المنون وللباقين أدوار
ماللمصاب بسهم القوم من قود وما تقيه متاريس وأسوار
كلا ولا لصريع الدمع واقية إذ غارق الدمع لا تنجيه أنصار
كم من سفيه إذا ساداتنا ذكروا نادى بأن رجال الدين أبقار
وهم رؤس شياطين ألا تربت يمناك ياظالما تشتاقه النار
أنتم رؤوس فساد حشو هاسفة وما سواكم مهاييل وأشرار
هل من فساد وهل من فتنة ظهرت إلا وأنتم لها حمرٌ وأمهار
وهل شكا الدين إلا من أسافلكم يامن هموا في اعتناق الزيغ شطار
أموالكم في أوربا تسمحون بها ومالكم عند بيت الله دينار
سلوا الفقيد أطاف البيت محتسبا أم زار حجرة طه كالذي زاروا
كلا ولكنه كم زار عاصمة ترنو لزخرفها الفتان أبصار
سلوه عما بهذا القطر أصلحه هل حُلّ عقد الربا أم زال إعسار
أم أرشد الناس للتقوى فقوّمهم حتى اشتكى هجرهم للخمر خمار
لا والذي لفساد الناس سببه لولاه ماظهرت للغش أنصار
ولا تهتك مفتون بزانية ولا استحل تعاطي الغدر غدار
ولا تباهى بفعل المنكرات فتى ولا فتاة ولا أودى بنا العار
ولا أكلنا من الأنعام مائتة تأتي بها من بلاد الغرب تجار

فيا أخا العلم لا ينجيك علمك ان | فاتتك خشية رب إسمه البار
ويا أخا المال لا تركن لكثرته | فالمال كالماء كرار وفرار
والجاه ضيف وعقبى الضيف رحلته | وان دعته لطول المكث أوطار
واضرع إلى الله يامن بات فى سعة | من نعمة الله ان الدهر غدّار
ونعمة الله تأتى طيّ رحمته | كماطر غيثه الهطال مدرار
لكنما ألبغى والطغيان ينقصها | فما تهنى بها فى الكون كفّار
وان تقل ان أهل البغى فى نعم | فركبهم فى طريق النم سيار
والذ فلون لهم فى القبر مزعجة | وبعد فصل القضا عقباهم النار

